روايات  عالمية

المناضلون

THE SILENT ARMY

٥٠ مليما

إهـــــــداء2006

الدكتورة / امانى عبد الرازق خاطر

الإسكندرية

روايات
عالميـة

العدد رقم ٣٤٤

المناضلون

تأليف شن كي اون
ترجمة : لواء لبيب ميخائيل

الفصل الأول

كان العم « ليو » يصيح ، وهو يلقى تعليماته ، حاثا الجميع على الاسراع فى جمع حاجياتهم الضرورية والثمينة فقط ، فى أقل عدد من الحقائب الخفيفة . مؤكدا اننا لا يمكن ان نأخذ كل ما فى المنزل معنا .. حتى الطعام .. فلن نغيب سوى أيام قلائل .. وسوف نجد كل ما نحتاج اليه من الطعام فى مخازن منجم « كوان لو » .

وكانت العمه « هوو » ، وفتياتها ، يسرعن وهن يصعدن درجات السلم الى حجراتهن ليجمعن مجوهراتهن .. وما يمتلكن من أشياء أخرى .. عزيزة .. أو ثمينة .

وبعد لحظات عادت العمة « هوو » مهرولة تصيح ، وهى تدعونى اليها ، ثم وهى تنادى خادماتها ، وما هى الا دقائق حتى كنا جميعا حولها .. نحاول مساعدتها ، وتنفيذ تعليماتها المتلاحقه ، فنملأ حقائبها الجلدية .. ثم نفرغها .. ثم نعيد ملأها ثانية . نفتح هذا الصندوق .. ثم ذاك .. ننبش هنا وهناك .. ونجمع طلباتها .. وكانت تركز البحث بصفة خاصة عن كل ما هو من نسيج الصوف .. فالعمة « هوو » لا تستطيع مقاومة البرد .. وتعتقد أننا جميعا مثلها .

وفى هذا الجو المثير .. الذى كان يحيط بالعمة « هوو » .. لم نستطع ابدا .. أن نلتقط المفتاح الصحيح .. لأى قفل .

وبسرعة ايضا توجه العم « ليو » نحو خزانته .. ثم نحو مكتبه ليجمع أمواله ووثائقه وأوراقه الخاصــة ، وبعد أن وضعهــا في حقيبة جلدية كان يحملها .. قال :

ـ كان من الواجب أن اسحب المزيد من المال .. في زيارتي الأخيرة .. للمصرف .

وقبل أن يتم حديثه هــذا .. دوى انفجار مروع هز أركان المدينة .. وكان في هــذا الدوى ما اغنى العم ليو عن اعادة حث اسرته على الاسراع في مغادرة المنزل .

وركبنا جميعا احدى عربات اللوري المكشوفة ، التي كان العم ليو يقودها بنفسه ، فسارت بنا عبر طرق مليئة بأنقاض المنــازل التي دمرتها قنابل الطائرات ، وكان بعض سكانها مازالوا يسعون هنا .. وهناك .. يحمل بعضهم ما استطاع استخلاصه من منزله الذي دمر .. أو متجره الذي نهب .. ويبحث الآخرون وسط الأنقاض .. علهم يعثرون على شيء !! كانت الجثث متناثرة في كل مكان .. وكان انين الجرحى يتعالى .. ولكنه لا يصل الى اسماع الذين يواجهون هذه التجربة الأليمة للمرة الأولى .. حين تلهيهم النكبة عن نجدة من حولهم .. فيدفعهم الرعب .. الى الفرار بعيدا ناجين بأنفسهم دون تفكير في غيرهم ..

وكان الجميع يتدافعون في طريق واحد غير ممهد .. يتجه نحو الجنوب ، وكان الزحام شديدا والحركة شبه متوقفة لضيق الطريق وسوء حالته . وحين وصــلنا الى منجم « كوان لو » بعد رحلة شاقة طويلة ـ كانت السماء ملبدة بالغيوم ، والرياح تعصف بما حولنــا ، وحين ترجلنا من العربة ، التف حولنا عمــال المنجم مرحبين ، وبعد لحظات وصــــل « كوان لو » وزوجته وأولاده ، والابتسامة المشرقه تعلو وجوههم ، وحين دعانا كوان لو للدخول الى منزله قال :



ـ مرحبا بكم فى منزلنا المتواضع هذا .. لقد أخلينا لكم احدى الحجرات .. والموقف ـ كما ترون ـ يتطلب رفع الكلفة بيننا ، وارجو المعذرة اذ لم نستطع أن نوفر لكم سوى هذه الحجرة .. وأسأل الله أن تزول هذه الغمة سريعا .. وأن تعودوا الى دياركم سالمين .

فأجابه العم ليو قائلا :

ـ اننا نقدر حفاوتكم بنا .. ونأسف لازعاجكم فى هذا الوقت العصيب .

كما أضافت العمة هوو قائلة :

ـ فى مثل هذه الظروف يجب أن نقدم لكم ـ نحن بعد الله ـ شكرنا وتقديرنا لمعاونتكم .. وتوفيركم لنا مثل هذه الحجرة .. وكما أوضحتم .. يتحتم أن نرفع الكلفة بيننا .. ولا محـل اذن لهذا الاعتذار ..

وبعد أن تناولنا وجبة العشاء التي أعدتها لنا زوجة كوان لو ، جلسنا نتبادل الحديث مع بعض موظفى المنجم وعماله .. وكانوا خليطا من جنسيات مختلفة من دول شرق آسيا هاجروا الى الملايو .. وعاشوا فيها . وعلى الرغم مما كنا نشعر به من اجهاد وتعب ـ بعد هذه الرحلة الشاقة ـ فقد كانت حاجتنا الى الرقاد تذوب وسط الحديث عن الحرب التى تدور حولنا ، والكوارث التى نزلت بنا ، والسرعة الكبيرة التى تتلاحق بها الحوادث أمامنا . كان من الصعب علينا أن نميز الحقيقة فيما نسمعه من أنباء متلاحقة ، واشاعات متضاربة . واستغرقنا الحديث .. فلم نشعر بمضى الوقت حتى نبهتنا الساعة الى أننا قد جاوزنا منتصف الليل ..

وكان طبيعيا أن يتعذر علينا الرقاد ، ونحن نقاسى من أفكارنا السوداء حين نستعرض الحوادث التى مرت بنا فى أيامنا القليلة الماضية ، ونعانى الرقاد على الأرض بلا فراش أو وسائد تريحنا .. لكم تمنينا لو توفر لنا فى هذه الليلة ما يقينا لذعات البعوض المتوالية .

***

كنت فى سنغافورة .. حتى قبل اسبوع ، حين وصلتنى برقية العم ليو .. تنبئنى باحتضار والدتى ، وكانت أفكارى موزعة بين واجبى نحو والدتى التى تحتضر هناك .. وبين زوجتى « لى لان » .. التى كانت أمامى طريحة الفراش بعد مولد طفلنا الأول .

وفى الوقت الذى كان اليابانيون يهددون فيه حدود صيام الشمالية . وعلى الرغم من كل ما توقعته من اخطار . فقد قررت السفر شمالا الى « ايبواه » ـ حيث تقيم والدتى ـ ووصلتها فى وقت سمح لى بوداعها الوداع الأخير ..

وتوالت بعد ذلك الحـــوادث مسرعة ، وتعذرت عـودتي الى سنغافورة ، وكانت حالة « لي لان » ـ عندما تركتها ـ موضع قلقي وتفكيري .. هل سيهتم بها الدكتور « زيا » .. كما وعد ؟ كيف حالها الآن ؟ .. وكيف حال الطفل ؟ .. كم كانت رقيقة عطوفة وهي تشجعني على السفر .. لأداء واجبي الأخـير نحو والدتي !! ثم وهي تقول :

ـ عد لنا سريعا .. قدر ما تستطيع .

ترى هل سأتمكن من العودة الى زوجتي .. وطفلي ؟ .. وهل سأراهما مرة ثانية .. ومتى .. ؟

الفصـل الثاني

وحين استيقظت في صباح اليوم التالي .. كنت أعاني آثار ارقي طول الليلة الماضية .

وفي حوالي الساعة العاشرة صباحا ، مرقت في سماء المنجم ست طائرات يابانية كانت متجهـة نحو كامبار ، فتجمعنا نتابعها بأنظارنا .. وكان عددنا يتجاوز المائة والعشرين بين رجال وسيدات وأطفال . وحين ابتعدت الطائرات عنا تماما .. بدأ القوم يتدارسون الموقف .. وكان من رأي كوان لو ان ايبواه لابد أن تكون قد تلقت ضربة قاصمة ، وكان من رأي شوشوان أن هذه الطائرات لابد من أن تكون قد دمرت كامبار أو تاباه لتفتح الطريق أمام القـــوات الغازية .. فعلق آخر بقوله :

ـ اذن لابد من أن تكون قوات الحلفاء قد وصلت الى تاباه .. وعلى ذلك فعلينا أن نتوقع أن يدور القتال حولنا .. قريبا .

وهنا صاح العم ليو قائلا :

ليس المهم أن نبحث وجهة هذه الطائرات واهدافها الآن .. ولكن الأهم ان نتدارك موقفنا هذا . فلا شك أن في وقوف أكثر من مائة شخص .. مثلما فعلنا الآن ـ ما قد يجعلنا هدفا مغريا لاحدى هذه الطائرات . ولذا يجب أن نحتاط للأمر .. وأن نبدا فورا فى حفر خنادق تتسع لعددنا ..

فلم يتردد القوم لحظة واحدة .. وبدءوا العمـل .. وقبل الغروب كنا أنجزنا حفر ثمانية مخابيء متفرقة .. بعيدة عن المبانى خصص كل واحد منها لعدد من الأفراد يلجأون اليه وقت الحاجة .

وقبل الغروب بقليل .. قدم الينا احد عمال المنجم القريب منا والذى لا يبعد عنا بأكثر من أميال قليلة ، يبحث عن شقيقه الذى يعمل فى منجم كوان لو .. ومنه علمنا أن أكثر من أربعين رجـلا مسلحا ، هاجموهم ظهر اليـوم .. وسلبوهم كل ما يمتلكون .. حتى آلات المنجم .. لم تسلم من النهب والتدمير . وفى الحال أصدر كوان لو تعليماته باغاثة هؤلاء العمال .

وبهذا برز امامنا خطر جديد .. تحتم علينا ان نتدارسه .. وأن نستعد لمواجهته .. فى الوقت الذى كنا نفتقر فيه الى السلاح وفى حدود قدرتنا .. اتخـذنا أهبتنا لتوفير الحـراسة القوية ، والانذار السريع ، والاحتياطى المناسب من الرجال الأشداء المسلحين بقطع الحديد والعصى الغليظة ليدافعوا فى الاتجاه المهدد الذى يبرز منه الخطر .. ولم يغب عن بالنا أن نبعد النســاء والأطفال عن مكمن الخطر المتوقع ، فحددنا لهن مكانهن فى احـد الملاجيء .. تحت حراسة قوية ..

وهكذا مضى الليل .. فى ترقب .. وانتظار . وقلق .

الفصل الثالث

وفى اشراقة الصباح الجميل .. وبدلا من أن نسمع أصوات الطيور المفردة ، وصل الى أسماعنا صوت اشارة الانذار بغارة جوية .. كنا قد أعددناها ضمن خطتنا للدفاع عن أنفسنا وعن المنجم ، وكانت عبارة عن دقات أربع على اناء للبترول ، تتبعها وقفة قصيرة ثم يتكرر الدق أربع دقات أخرى .. وهكذا .

وما أن وصلنا جميعا الى المخابيء حتى شاهدنا طائرة تحوم حول المنجم حتى تبينته تماما ، ثم أخذت تدور حوله دورات متتابعة وهى تسقط ما يشبه الريش .. الى حيث تحمله الرياح . وصاح كوان لو ينذرنا بعدم ترك ملاجئنا لمحاولة جمع هـذا الشيء الذى يسقط .. وأن نبقى جميعا مختبئين الى أن تبتعد الطائرة عنا ..

وبعد حين ـ ذهب بعض العمال ليلتقطوا ما سقط ، فاذا هو قصاصات من الورق متعددة الألوان ، فى حجم واحد ، مـكتوب عليها باللغة الانجليزية ما يلى :

« ان الجيش الامبراطورى الباسل ، وقد قدم لتحرير أرض الملايو بدافع من المبدأ الذى ينادى به ، وهو .. آسيا للأسيويين يدعو أهل الملايو ـ ويحذرهم من التردد ـ الى تقديم كل عون يطلبه جنودنا الشجعان .. من طعام . وشراب .. ومعلومات .

وان عقوبة ايذاء جنودنا ، أو اخفاء ومعاونة جنود العدو الجبناء الذين يهربون كالجرذان .. هى الموت ..

فتعاونوا معنا باخلاص .. »

(بأمر القائد الأعلى لقوات الجيش الامبراطورى)

***

وكان تأثير هـــذا الانذار باديا على وجوه الجميع فى شكل ابتسامة تهكمية ..

وبعد حوالى الساعتين .. قام ونج لى ... أحد عمال المنجم ـ بعرض شيق لاسلوب اهل الصين فى الدفاع عن النفس ، موضحا اسلوب الهجوم والدفاع باستخدام الرمح أولا ، ثم قضيب الحديد ثم الخنجر .. وغير ذلك من الوسائل البدائية التى توارثها الأبناء من الآباء خلال قرون طويلة ، فأجادوها .. وبرعوا فيها . وبعد أن فرغ من هذا العرض .. دعانا لنمارس معه تمرينا عمليا لكل أو بعض هذه الوسائل .. وبعد ان استرحنا قليلا .. بدأ تدريب جميع الذكور منا تحت اشراف ونج لى ، وانتشرنا فى حلقات .. نهاجم وندافع .. نكر ونفر .. نقفز ونجرى . الى أن توقفنا جميعا فجأة حين سمعنا أحد الحراس يصيح منذرا بقدوم بعض الجنود فى اتجاه المنجم .. ثم تبين لنا انهم جماعة من الانجليز والهنود ضلوا طريقهم وهم ينسحبون فى اتجاه نهر سليم ، بعد أن هاجمتهم طائرات العدو ودمرت عرباتهم وشتتت شملهم ، فلم يبق من السرية سواهم . فاكرم كوان لو وفادتهم ووفر لهم مطالبهم ، وحين تبين له انه من المحتم عليهم الوصول الى النهر قبل منتصف الليل عرض عليهم ان يستقلوا احدى عرباته ، فرحبوا بالفكرة ايما ترحيب .. فانتهزت هذا العرض الحاتمى وطلبت من قائدهم أن يمنحنا أحد المدافع الرشاشة القصيرة التى يحملونها ، بعد ان أوضحت له حادث السطو المسلح الذى وقع على المنجم المجاور ، واننا لا نملك اى سلاح نواجه به مثل هؤلاء اللصوص وندافع به عن النساء والأطفال ، فأجاب رغبتى بأن منحنا رشاشين بدلا من رشاش واحد ومعهما الذخيرة اللازمة .

واثار وجود قطعتى السلاح بين ايدينا الكثير من الجدل والنقاش خاصة بعد ان تأكد لدينا ان القوات اليابانية قد استولت على ايبواه وانها تطارد قوات الحلفاء المنسحبة . وكان العم ليو يرى اننا يجب ان نتوقع وصول قوات العدو الى المنجم خلال أيام قليلة ، وانه من الخطأ الا نستعد من الآن ... لهذا المأزق المنتظر ، ولذا وجب علينا ان نخطط ما سنفعله ... وأن نقرر ما سنقوله .

ولا جدال فى أن هذه القــوات أشد خطرا .. وقســوة .. من عصابات اللصوص الملثمة . ثم دعانا لندلى بما لدينا من آراء .. وأفــكار ..

فعلق احد العمال على حديث العم ليو قائلا :

ــ لا شك فى أن هؤلاء الشياطين الاقزام .. هم أعدى أعدائنا ولاشك فى أنهم سيطاردون القوات المنسحبة ككلاب الصيد التى تسعى وراء فريستها .. فقط .. أعتقد أنهم سيأتون الينا هنا فى جماعات صغيرة ، ولدينا الآن هذان الرشاشان .. ولابد ان نحسن استعمالهما ..

فأثار هذا الرأى الكثير من الجدل ، وعلق عليه ونجتى قائلا :

ــ انا ضد الرأى القائل باستخدام السلاح ، وأرى أن فى هذا العمل القضاء المبرم علينا جميعا . قد يكون فى مقدورنا القضاء على أول جماعة تصل الينا منهم ، ولكن .. ما سيكون شأننا مع باقى الجماعات ؟ وأنتم تعلمون أن دوى الطلقات فى هــذه المنطقة الهادئة .. ينتشر صداه بسرعة .. ولاشك فى أنه سيصــل الى آذان أعدائنا .. وأنهم سيبحثون عن مصدره . وأكثر من هذا .. هل تعتقدون يا أخوانى أن فى مقدورنا أن نقاتل الجيش اليابانى وكل ما نملكه هذان الرشاشان وبضع مئات من طلقات الرصاص .

وصاح لانتاه مؤيدا هذا الرأى قائلا :

ــ لاشك فى أننا لا نملك المقومات الضرورية لمواجهة قوة أعدائنا وهذا لا يعنى أن نفقد قدرتنا على التفكير والتصرف .. فهذا واجبنا الآن للدفاع عن نسائنا وأطفالنا .. على الأقل .

وكان من رأى ين لين ــ بعد أن أوضح ما وصل الى علمه من قسوة جنود العدو ووحشيتهم ــ انه من الواجب العمل على اخفاء النساء والأطفال . وأثار دهشتنا .. تدخل العمة هوو فى الحديث قائلة :

ـ اننا لسنا فى موقف يسمح لنا بمثل هذه الآراء الهزيلة .. أننى امرأة .. وأم لفتاتين تتفتحان كالزهور .. وأعلم جيدا ماذا يفعل هؤلاء الوحوش مع نساء أعدائهم .. واقدر مسئوليتى كأم نحو بناتي .. وبالتالى أشعر بما سيحل بكم جميعا وأنتم ترون نساءكم يعتدى عليهن .. انه لموقف كريه هذا الذى سنواجهه . هل يستطيع السيد ين لين ان يخبرنا أين هو المكان الأمين الذى سنختبىء فيه .. اذا كان من المحتم علينا أن نهاجر مرة ثانية .. فمن الواجب اذن .. أن نتخذ قرارنا بسرعة .. قبل فوات الوقت ..

فاتجهت الانظار نحو العم ليو .. تطلب رأيه .. ولكنه اطرق قليلا ـ كمن يفكر ـ قبل أن يقول :

ـ تقترح زوجتى أن نغادر هذا المكان .. ولكن من الذى يستطيع أن يحدد لنا مكانا أكثر أمنا وسلامة من مكمننا هذا ؟ . فالعدو الآن فى كل مكان .. فى المدن والقرى .. فى الغابات والأحراش .. فلا مكان اذن يمكن ان يقال انه صالح لهجرتنا ، وليس أمامنا فى الوقت الحاضر سوى البقاء هنا .. حتى نرغم على قتالهم .. وبعد ذلك علينا أن نتحمل مخاطرة الهروب الى أى مكان توفره لنا الظروف وقتئذ .

فختم كوان لو الحديث مؤيدا رأى العم ليو .. ثم قال :

ـ لا شك فى أن ما خططناه بالأمس .. قد لا ينجح اليوم .. وما نخططه اليوم قد لا ينجح غدا ، فالحوادث تجرى بسرعة متلاحقة ولكل وقت ظروفه وملابساته .. وعلينا أن نستخدم عقولنا بغير تهور ، أو اندفاع ، ليس من السهل ان نخفى نساءنا واطفالنا بصفة دائمة ، ولكن من الصواب أن نحدد وسيلة لانذارهن عند اقتراب هؤلاء الجنود . كما يجب أن نخفى سلاحنا وذخيرتنا . واذا سئلنا عن الجنود الانجليز . اجبنا بأن لا علم لنا بأمرهم ، وليس لنا بعد

ذلك يا اخوانى .. سوى أن نتجه الى الله العلى القدير نسأله أن لا يطيل بقاءهم بيننا .

ثم دار نقاش طويل لم ينته الا قرب الغروب بالوصول الى قرار بشأن اخفاء السلاح والذخيرة ، ووسيلة انذار النساء والاطفال واخفائهن ، وسلوكنا ازاء الجنود اليابانيين ، واسلوبنا فى التعامل مع العصابات التى قد تسطو علينا .

الفصـــــل الرابع

وقع اختيارنا على مدخنة الموقد الكبير بمنزل كوان لو كمكان صالح لاخفاء سلاحنا وذخيرتنا وما نملك من مال ومصوغات ثمينة . واعددنا غطاء من الزنك وضعناه على فتحتها وثبتناه ببعض الأحجار ثم أجرينا بعض التجارب للتأكد من سرعتنا فى اخفـاء السـلاح والذخيرة فى هذا المكان المختار عند صدور اشارة الانذار باقتراب أى من جنـــود الاعداء .

واستمر نشاط الطائرات اليابانية حولنا ، وازداد بصـــورة أكدت لنا سيطرتهم الـكاملة على الموقف ، وبدأت للمـرة الأولى اشعر بالخوف وأنا افكر فى زوجتى وطفلى . والمصـير المجهول الذى اواجهه الآن . وكنا نسمع دوى طلقـات الرشاشات قريبة منا ، وأصوات انفجار دانات المدفعية على بعد أميال قليلة منا ، وفى نفس الوقت كنا نســمع دقات متوالية على أوان فارغة .. تصل الينا مؤكدة أن القوم حولنا قد سلكوا سلوكنا . واعدوا ــ مثلنا ــ عدتهم للانذار السريع حين يشعرون بالخطر يقترب منهم .

وكانت تصلنا الأنباء دائما عن سلوك الجنود اليابانيين وسوء معاملتهم للأهالى العزل . وفجاة برز أمامنا خطر جديد ، وحلت بنا أزمة غير متوقعة ، فقد سـقط طفلا كوان لو صريعى المرض

واصابتهما حمى مصحوبة برعشة قاسية ، وكان من الواضح انهما قد اصيبا بالملاريا . لم نكن نملك من وسائل علاجهما شيئا ؛ فاتجه تفكيرنا الى ارسال رسول الى المناجم والمزارع القريبة منا للبحث عن أقراص الكينين . ولكنه عاد ومعه ثلاثون قرصا من الأسبرين ، نفذت في يومين . وكان تأثيرها فى مرض الطفلين محدودا .

وكان من العمال من يرى فى بعض الأعشاب علاجا ناجعا للملاريا فجمع بعضها وغلاه فى اناء قدمه لوالدة الطفلين وهو يرجوها أن تثق فيه وفى هذا الدواء ، وما كان لمثلها الا ان تثق . وان ترجو . وهى تشاهد طفليها يتألمان بلا أمل فى علاج آخر قريب . فقبلت أن تمطى طفليها هذا الدواء . وهى ترجو ان يكون فيه شفاؤهما . ولم تمض ساعات قليلة بعد تناولهما هذا المشروب . حتى ساءت حالتهما ، وازدادت رعشتهما وارتفعت حرارتهما . واصيبت الأم بصدمة أذهلتها ، فأخذت تصيح وتنادى لوباك ، تدعوه أن يحضر ليشاهد تأثير دوائه . ولما حضر أخذ يقيس نبض الطفلين ويتسمع الى دقات القلب ، ويفتح مقلة العين ، ويدق بيده على الصدر .. كما لو كان طبيبا يكشف على مريض ، ثم انتصب وهو يقول :

ـ الطفلان بخير .. وستزول هذه الآثار عنهما بمجرد تناولهما مشروبا آخر سأقوم باعداده فورا .

وكلن طبيعيا أن تثور الأم . وأن ينفجر الأب غضبا . فحسبهما تجربة واحدة يقاسيان منها الآن .. ولا يعلم الا الله نتائجها .

ولما شاهد اهفوسوك طاهى المطعم حالة الطفلين ووالدتهما ، عرض أن يتوجه الى مزرعة للمطاط يملكها بعض الأوربيين ، وهى تبعد حوالى سبعة أميال من المنجم ، حيث يقيم شقيق له ـ علم منه فيما سبق ـ أن بالمزرعة استعدادا طبيا كاملا ، وقال انه يعتقد أن فى امكانه الحصول على الدواء المطلوب والعودة به مسرعا .

ومضى اهفوسوك في طريقه سالكا ممرا وعرا يبدأ من محطة مالاواكي . ليتجنب مضايقات العصابات والجنود .

وانتظرنا عودته في صباح اليوم التالي . ولكنه لم يعد ، فاتجه تفكيرنا الى أن لقاءه مع أخيه بعد هذه الغيبة الطويلة ، لابد أن يكون قد حمله على البقاء معه يوما آخرا ، وفي صباح اليوم التالي . لم يعد أيضا .. واصبح واضحا لنا . أنه لن يعود ابدا .

وعندئذ دعانا كوان لو لتبادل الرأى فيما يجب أن نتخذه من إجراءات للبحث عن اهفو سوك ، وللحصول على الدواء المطلوب . وكنت اول من تطوع للذهاب وانا اشاهد الآم ولوعتها ، والطفلين والألم الذى يقاسيانه . وأفكارى تذكرنى بزوجتى وطفلى : . ماذا لو عانى طفلى ما يعانيه هذان الطفلان الآن ؟ . لهذا نشطت رغبتى فى الذهاب . فقد افعل شيئا يعيد الى نفسى السكينة والهدوء . وتطوع أيضا للذهاب معى وى كيوى أمين المخزن مبديا خبرته بالمنطقة وعلاقته بالكثيرين من أهلها الذين قد نحتاج الى عونهم فى الطريق ، وصحبنا ايضا ونج تى الذى يرى فى نفسه القدرة على تنسم اى خطر قادم ، وجاجا الهندى الذى يعتقد ان وجوده مع الجماعة سيجنبها مضايقات السيخ .. ثم توالت رغبات المتطوعين واكتمل عددنا تسعة . وقبل ظهر الرابع من يناير ١٩٤٢ ، بدأنا سيرنا للبحث عن اهفو سوك . وعن الدواء للطفلين . وكنا نتوقع أن تكون عودتنا قبل أن ينتصف الليل .

وقبل أن نصل الى محطة مالاواكى واجهتنا أولى متاعبنا ، فقد اوقفتنا دورية مسلحة كانت مشكلة من بعض متطوعى المزارع والمناجم فى المنطقة لمقاومة رجال العصابات التى تعيث فى الأرض فسادا . وكنا نبدو لهم — كما كان يدل مظهرنا — كرجال العصابات ، وكان من المحتم علينا أن نثبت لهم شخصيتنا ووجهتنا .. وتوالى لقاؤنا بمثل هذه الدوريات ، وتوالت العقبات امامنا . الى أن وصلنا مالاواكى .. وتأكد لنا أن اهفوسوك قد مر بها من يومين راكبا

دراجته . ثم تابعنا طريقنا الى المزرعة ، سالكين طريقا وعرا خلوا من الحياة ، ولم يصادفنا ما يعرقل سيرنا سوى نشاط طائرات العدو التى كانت تلزمنا الوقوف والاختفاء كلما ظهرت فوقنا .. وبعد أن تجاوزت الساعة الثالثة بقليل ، وصلنا الى المزرعة واتجهنا الى المبنى الرئيسي . فوجدناه خاويا . وهكذا كان باقى الدور والمخازن . نبحثنا حتى عثرنا على حجرة يعلوها صليب احمر اللون أرشدنا الى ما نبحث عنه ، ولفت نظرنا فى هذه اللحظة وجود طريق ضيق محاط بسياج من الشجيرات الصغيرة يتجه نحو الشرق ، فاتجه تفكيرنا الى احتمال وجود بعض الأفراد مختبئين يراقبوننا ، فقررنا أن ننادى بصوت عال ندعو القوم الينا ، ولكننا لم نسمع سوى صدى اصواتنا . فلم يكن هناك من المخلوقات — أيا كانت — من يسمع نداءنا ، فاتجهنا نحو الصيدلية . وكانت المفاجاة القاسية ما شاهدناه داخلها من تخريب وتدمير . وبذا كان واضحا أننا لم نكن أول الزائرين .

ولم نفقد الأمل مع ذلك . فأخذنا نبحث وننقب علنا نعثر على شيء ذى بال . وكانت فرحتنا لا تقدر حين عثرنا على بعض العقاقير . بينها حوالى مائة قرص من الكينين . وزجاجة صغيرة من الأتبرين .

وقبل غروب الشمس بقليل . بدانا رحلة العودة ، مسرعين الخطى قدر طاقتنا ، وبما تسمح به طبيعة الأرض التى نسير فوقها . وبعد حوالى ثلاثين دقيقة سمعنا أزيز القنابل وهى تمرق فوق رءوسنا وانفجرت احداها على بعد حوالى خمسمائة ياردة منا .. وكان هذا نذيرا لنا بأننا نسير فى منطقة يدور فيها القتال عنيفا ، وتحتم علينا أن نعيد التفكير فى موقفنا . ولم نجد أمامنا سوى العودة ثانية الى المزرعة . نقضى فيها ليلتنا .

وكان الظلام حالكا حين وصلنا الى المزرعة ، مما زاد شعورنا بالرهبة ونحن نتجول باحثين عن مكان ملائم نلجأ اليه ، وحين عثرنا على منزل من طابقين . قمنا بتفتيشه بدقة ، مستعينين بضوء

مشعل كهربى كان معنا ، ولما تأكدنا من خلو المبنى تماما ، وقع اختيارنا على احدى حجراته وضعنا فيها أمتعتنا ، ثم اتجهنا نبحث عن الطعام فعثرنا على بعض المعلبات المحفوظة. وجوال صغير من الأرز وكمية صغيرة من الشاى . وكان فى كل هذا ما يفى بحاجتنا لأكثر من يوم .

وتناولنا وجبة العشاء ، وكانت الوجبة الأولى لنا منذ غادرنا المنجم ، وعلى الرغم مما بذلنا من جهد طول اليوم ، وما صادفنا من عناء واثارة ، فقد كانت شهيتنا جميعا طيبة ، فأكلنا بشراهة واضحة ، وقبل منتصف الليل بقليل كان الاجهاد قد حل بنا جميعا ، فبدأنا ـ الواحد بعد الآخر ـ يبتعد عن المشاركة فى الحديث الدائر . ثم يسقط فى فراشه ويستغرق فى سبات عميق .. وكنت آخر من استغرق فى النوم بعد فاصل موسيقى غير متجانس استمعت اليه ـ مرغما ـ من غطيط الاخوان . وكنت خلاله أحاول ان انسب كل صوت منه الى مصدره . وكان فى هذا الجهد الضائع ما دفع بالنوم سريعا الى جفونى .

وكنت مستغرقا فى احلامى حين دفعنى ونج تى بحذر ليوقظنى فى هدوء ، وليحذرنى من الاتيان بأى حركة قوية أو صوت عال . وكانت الظلمة ما زالت تشمل المكان ، فشعرت بالموقف دون ايضاح من أحد . وتبينت ان هناك بعض الأرجل الغريبة التى تتجول بالقرب منا . فجلست ، وبحثت حولى . فوجدت الجميع متيقظين مدققين السمع بحذر وعناية . وعلى ضوء القمر الخافت الذى كان يتسرب الينا عبر شراع مكسور لأحد نوافذ الحجرة ، تبينت ان الساعة قد جاوزت الرابعة صباحا بقليل ، ولما انتقلت الى النافذة أنظر خارجها . كانت الرؤية قد بدأت تتضح فى ضوء القمر الشاحب الذى بدأ ينهى مداره خلف الأفق ، وفى نفس الوقت كان الضباب قد بدأ يطوى المكان بستار بدأ خفيفا . ثم أخذ يتكاثف .

وفى جلستنا هذه بدأت تصل الينا أصوات أقدام ثقيلة مقبلة

لحونا فوق الأعشاب الجافة التي تملأ الممر المؤدي الى المبنى حيث نقيم ، وكنت أراهم من خلف النافذة كأشباح تسعى فى الظلام ، بعضهم مترجل ، والبعض يدفع دراجته الى جواره . والجميع يوجهون ضوء مشاعلهم الكهربية نحو المبنى وما حوله ، يبحثون ويدققون . واقتربوا منا بعد لحظات ، وبانت وجوههم سمراء فى الضوء الشاحب . ثم وصل الينا همسهم . ثم تعالت أصواتهم . وهمس ونج تى فى أذنى قائلا انهم لابد من أن يكونوا من وحدات الفدائيين الذين يتسللون خلف خطوط العدو كالأشباح ، فأصابتنى الرعشة فجأة من برودة الجو حين ضعفت مقاومتي لها بتأثير الخوف الذى اعترانى . وحين لمست ذراع جنجيتا سنج ، وكان يجلس الى جوارى ، لاحظت انه أيضا يرتعد فرقا .. وقد وضع منديله فى فمه ليمنع صرخة قد تنطلق منه عفوا . وهكذا كان حالنا جميعا ونحن فى مكمننا هذا لا ندرى ماذا سيصيبنا او يحل بنا .

واصبح الجنود أسفل النافذة ، وسمعنا بجلاء حديثهم ، وكان أحدهم يتحدث بصوت خشن عال ، ويبدو انه الضابط الوحيد فى المجموعة ، وكان يوجه اسئلته الى أحد مرافقيه . وكان اهم ما جاء فى حديثه ــ على قدر ما تسعفنى ذاكرتى ــ قوله :

ــ كم يبعد هذا المكان عن محطة السكة الحديدية ؟ .

ــ حوالى ثلاثة أميال .

ــ هل تأكدتم من خلو المنطقة من أى جندى بريطانى ؟ .

ــ نعم يا سيدى . بكل تأكيد .. فلا شك فى انهم فروا هاربين كالجرذان ، وكان لمنشور القائد الأعلى تأثيره الكبير على السكان .

ــ جميل جدا .. عظيم ..

وبعد لحظة قصيرة تابع اسئلته وهو يقول :

ــ كم عدد العمال الذين يعملون هنا .. وماذا حدث لهم ؟ .

ـ كانوا لا يزيدون على المـائة والأربعين من الهند الصينية ؛ وحوالى السبعين من الصينيين ، وقد فروا الى الغابات . ويحتمل ان يكون البعض منهم قد لجأ الى المزارع المنتشرة حولنا لينضموا الى أقاربهم فيها .

ـ هل سلح الجيش البريطانى هؤلاء العمال قبل هروبهم ؟ .

ـ كلا يا سيدى .. لم يحدث ذلك . المدير فقط ـ وهو اوربى الجنسية ـ لديه بندقية وطبنجة ، وقد أخذهما معه عندما هرب هو أيضا كالفأر الأجرب .

ـ هل تؤكد عدم قيام البريطانيين بعمل أى كمائن من هنا حتى محطة السكة الحديدية ؟ .

ـ اؤكد هذا يا سيدى . فقد انسحبوا جميعا نحو الجنوب حتى كامبار ، وكولا ديبانج ، وعند وصولنا الى محطة مالا واكى سنكون قد قطعنا خط الرجعة تماما على أى قادم من الشمال .

ـ هل هناك أى جماعات مقاومة منظمة ؟ .

ـ كلا يا سيدى .. لم نعثر الا على بعض الأفراد يقومون بأعمال السـطو ـ وان وجـد غيرهم ـ فلن يمثلوا أى خطـر على قوات الامبراطورية الباسلة .

ـ لقد ذكرت شيئا عن المزارع فأين هى ؟ .

ـ منتشرة يا سيدى فى المنطقة .. ولكنها الآن مهجورة غالبا .

وهنا رفع الضابط يده الى أعلى وهو يحـاول التعـرف على الوقت فى ساعته مستخدما المشعل الكهربى . ثم تساءل قائلا :

ـ كم تستغرق المسافة من هنا الى المحطة ؟ .

ـ اذا سلكنا الطريق القصير فلن يستغرق منا اكثر من ساعة وبضع دقائق ..

ثم أصدر القائد بعض التعليمات لجنوده ، وانتظم الجنود صفوفا بدأت تتحرك مبتعدة ، يتبعها راكبو الدراجات .. وكان عددهم على ما تبين لنا .. يزيد على الستين جندياً .

وبعد أن ابتعدوا تماما .. كان ونج لى أول من تكلم قائلا :
ـ يا الهى .. ماذا كان يحدث لو انهم فكروا فى الاقامة هنا ؟!

الفصل الخامس

توالت الحوادث مسرعة ، حتى أصبح من العسير التنبؤ بحقيقة ما يدور على بعد أميال قليلة منا ! . والأمر الوحيد الذى اجمعنا عليه بلا أدنى خلاف أو تردد ، هو خطورة عودتنا معا الى المنجم مترافقين . بعد ان أصبح من المؤكد ان القوات اليابانية تقف الآن فى طريقنا ، والله وحده يعلم ماذا ينتظرنا ! . لو قدر لهم . أن يتنبهوا الينا . وعلى هذا فقد كان تقديرنا ان اى محاولة منا للسير جماعة سيكون مصيرها الفناء لنا جميعا .. وبالتالى فلن يصل الدواء الى أبناء كوان لو ..

وكان أن اقترح هاليسمات وجانجيتا سنج أن يقوما وحدهما بمحاولة التسلل الى المنجم ، وعزز هاليسمات رأيه قائلا :

ـ لسنا ندعى لانفسنا شجاعة خاصة تفوق ما لديكم . ولكننا نعلم ان اليابانيين لا يكنون اى ود لشعبى الملايو والهند ـ بصفة خاصة ـ وعلى هذا فنحن نشعر أن الظروف ستكون مواتية لنا أكثر منكم ، وستكون الفرصة أمامنا فى النجاة والوصول الى المنجم اكبر مما قد تتوافر لأى منكم . وطالما اننا قد اتخذنا قرارا . أن لا نعود الا فرادى . فأرجو أن أبدأ انا والأخ سنج المحاولة الأولى .

وقد لقى هذا الاقتراح ترحيبا من الجميع ، وحمل هاليسمات الاثبرين . وحمل سنج الكينين بين طيات ثيابهما ، بعناية وحرص ، وغادرانا حوالى الثامنة والنصف صباحا .

وحوالى الساعة الحادية عشرة صباحا ، فوجئنا بهما عائدين الينا والرعب يملأ قلبيهما والذهول يعقـد لسانيهما ، وبعـد أن استراحا قليلا .. وتناولا جرعات من الشاى المركز ، أوضح لنا هاليسمات الموقف حين قال :

ــ سلكنا طـريقنا حتى قبيل محطـة مالاواكى دون أن نلتقى بأحد .. وقبل أن نصل الى المحطة .. وعى بعد حوالى ثلاثمائة ياردة منها سمعنا صرخات مدوية تقطع السكون الذى يحيط بنا ، فقررنا أن نتحرى الموقف ، وأن نبحث عن مصدر هذه الصرخات ، فتقدمنا بحرص وحذر مستترين خلف الأشجار والأغصان الكثيفة . الى أن وقعت انظارنا على منظر اثار رعبنا . فعلى بعد حوالى مائة ياردة فقط منا كان يقف تسعة رجال ، مقيدين بالحبال ، كل الى شجرة ، سبعة منهم صينيون ، واثنان من البنجاب ، كانوا ينادون حراسهم طالبين الرحمة .. ثم قدمت ثلة من الجنود واصطفت أمام الأسرى ، وصدرت اليهم أوامر القائد ، فرفعوا سلاحهم وصوبوه ، واطلقوا نيرانهم على الضحايا . فسقطت رءوسهم فوق صدورهم والدماء تنبثق من جراحهم .

توقف هاليسمات قليلا ، يسترد انفاسه ، قبل أن يتابع حديثه قائلا :

ــ كان منظرا مريعا ارى فيه .. للمرة الأولى .. رجالا ابرياء يقتالون كالكلاب .. وكان من الطبيعى أن لا نتابع رحلتنا .. وأن نقرر العودة .

كان هذا التصرف منهما ــ محل تقديرنا جميعا ــ اذ لا يمكن أن نصفهما بالجبن أو التردد ، ونحن نعلم أن هؤلاء الجنود منتشرون

بالمنطقة ، وانهم يعتبرون سكانها جميعاً ــ وبلا استثناء ــ أعداء لهم ــ جزاؤهم الموت . وطالما انهم قد استولوا على مالاواكى وانتشروا فيما حولها . فالطريق الى المنجم أصبح غير مأمون .

ومضت الساعات الباقية من عمر هذا اليوم دون أن نصل الى قرار سليم بالنسبة للخطوة التالية ، بعد ان تدارسنا موقفنا ، واستعرضنا الظروف المحيطة بنا ، واستبد بنا القلق .. فقد كنا نخشى أن نقع فى المصيدة فنلقى مصيرنا كغيرنا ، كما كنا قلقين على اخواننا فى المنجم ونحن نقدر مدى انشغالهم علينا . ماذا لو لم يعد هاليسمات وسنج ؟! . هل كنا ندرك حقيقة موقفهما ، أو ما يكون قد أصابهما ؟ . وماذا لو كنا سلكنا طريقنا خلفهما ! . لا شك أننا أيضا كنا سنواجه نفس المصير ! . أوحى الينا هذا الخاطر بضرورة العمل على تأمين تحركاتنا بوسيلة ما تربطنا حين نسير فى جماعات صغيرة متتابعة . واستقر رأينا على اشارات معينة تتركها الجماعة المتقدمة ، وتهتدى بها الجماعات التالية لها . كالحفر على الشجر ، أو بوضع علامات على الأرض بالأحجار . أو بالاغصان .. وهكذا ..

وقررنا ان نبدأ المحاولة فى الصباح الباكر ، وتطوعت أنا ونج تى للعمل كجماعة قائدة ، وكانت خطتنا مبنية على أساس الالتفاف مبتعدين عن المحطة حتى نلتقى بالسكة الحديدية بعد مالاوى ، بمسافة أمن تكفى لتحقق سلامتنا .

وفى اللحظة الأخيرة طلب ونج تى أن يصحبه كوكا ما بدلا منى ــ فى الجماعة القائدة ــ فقبلت مكرها . وكما فعلنا فى المحاولة الأولى ، حمل كل من ونج تى وكوكاما جزءا من الدواء . وبدءا رحلتهما ..

وعند الظهر انتابنا جميعا شعور من القلق قبل أن تبدأ الجماعة الثانية رحلتها كما كان مقررا ! . ترى هل نجح ونج تى ورفيقه

او احدهما فى تخطى الحاجز النارى الذى أقامه اليابانيون ؟ . هل كتبت لهما السلامة ؟ .. أو ! ..

وكان أن قررنا تأجيل موعد قيام الجماعة الثانية حتى تحين الساعة الرابعة . فقد نستطيع الوصول الى بعض ما يطمئننا على مصيرهما ! .

وقبل أن تشير الساعة الى الثالثة بقليل أصابتنا صدمة مذهلة ونحن نتنسم رائحة عاصفة عاتية أخذت تهب علينا ، مصحوبة بأمطار غزيرة ، فأصبح من العسير على أى منا الخروج من المبنى . وصار قيام الجماعة الثانية برحلتها .. يعد نوعا من الانتحار .

فبقينا داخل المبنى .. كما لو كنا فى قفص لا نستطيع منه فكاكا - واستمرت العاصفة .. برياحها الشديدة وأمطارها الغزيرة .. وأصبح كل أملنا .. وكان أملا ضعيفا - أن تنجلى عنا هذه الغمة قبل الصباح . وفجأة سمعنا دقات متوالية على الباب الخارجى للمبنى ، وكنا قد أحكمنا غلقه - وصياحا يقول « افتحوا الباب .. افتحوا لنا .. أنا ونج تى .. أنا كوكاما .. » فأسرعنا نفتح لهما ونتلقاهما بالعناق والترحاب ، وكان بصحبتهما رجل غريب نراه للمرة الأولى . كانت ثيابهم تقطر ماء .. وكان الوحل يكسوهم من الرأس الى القدم .. وكان الاجهاد باديا عليهم . وكانت خطوتنا الأولى أن نزعنا عنهم ثيابهم ، واستبدلنا بها ماتيسر لنا الحصول عليه من المنزل ، بعد أن أضفنا اليه بعض ما كنا نرتديه ، ثم وفرنا لهم شرابا ساخنا وأجلسناهم بجوار المدفأة - بعد أن أشعلنا نارها - وتركناهم لينالوا قسطا من الراحة قبل أن نستوضحهم ما حل بهم .

ومضى وقت قبل أن يصبحوا فى حالة تسمح لهم بالكلام ، لنسمع منهم قصتهم المثيرة .. التى أوضحوها لنا على الوجه التالى :

سار ونج تى وكوكاما فى طريقهما المرسوم .. وكانت كل المزارع والمناجم التى يمرون بها مهجورة تماما - لا حياة فيها أو فيما

حولها ـ الى أن اقتربا من احدى مزارع المطاط وأدهشهما أن يريا ٠٠ لى كوى ـ الرجل الثالث الذى قدم بصحبتهما ـ يشير اليهما من احدى النوافذ ٠ وكان يقيم بالمزرعة ٠٠ هو وزوجته ٠٠ وابنه ـ فى السابعة عشرة ـ وابنته ـ فى الثالثة عشرة ـ وكان يعمل فى التحطيب ، ويقوم بتوريد خشب الأشجار لاستخدامه كوقود ٠ وقد تردد كثيرا قبل أن يفكر فى الهجرة ، ولما قرر أن يصحب أسرته بعيدا عن موضع هذا الصراع ٠٠ كانت الفرصة قد ضاعت منه ٠٠

وفى صباح الأمس ، كان لى كوى قد غادر منزله ليقضى حاجته ، وكانت زوجته ترقد فى فراشها ، وفى حجرة مجاورة كان يرقد ولده وابنته . وفجأة سمع لى كوى صراخ زوجته وولديه كما لو كانوا قد اصيبوا بلوثة أطاحت بعقولهم ٠٠ فاندفع نحو المنزل ، ولكنه توقف فجأة حين تبين ثلة من الجنود تحيط بالمنزل فاتجه بحذر ان يرى منه ، ولا يرى ، ووقف يشاهد ما يجرى أمامه وهو أعجز ما يكون عن الحركة لمعاونة أسرته التى تستجير وتتألم ٠٠

ومن مكمنه هذا شاهد ولده يجرى مندفعا ٠٠ وخلفه جندى رفع سلاحه وأرداه قتيلا ٠٠ ثم شاهد بعض الجنود يسوقون زوجته وابنته ويدفعهونهما أمامهم بمؤخر بنادقهم ، وهما تولولان وتصرخان ٠٠ الى أن اختفى الجنود بهما داخل الأحراش ٠ وبقى لى كوى واقفا بغير حراك ، لا يملك من أمره شيئا ، ولا يستطيع حتى الظهور أمام هؤلاء الجنود ٠٠ الى أن سقط فاقد الوعى ٠٠

ولما أفاق كانت الشمس قد قطعت ساعات من مدارها ٠٠ فاندفع نحو الأحراش يبحث ٠٠ ويبحث ٠٠ دون جدوى ٠٠ فعاد الى جثة ابنه يواريها التراب ٠٠ وهو يقسم أن ينتقم من هؤلاء الوحوش طالما كانت فى عروقه قطرة دم تنبض ٠

وفى الصباح التالى عاود البحث ٠٠ وقادته قدماه الى مقربة من مالاواكى ، وفى طريقه عثر على ثلاث جثث عريت تماما من كل مايكسوها ، وكانت لسيدات فى عمر الزهور ذبحهن الجنود ذبح

الشياه ، ولم تكن زوجته وابنته بينهن • ولما تابع سيره فوجيء ببعض الضحايامقيدين الى الأشجار •• مبقورةبطونهم • ولم يتمالك لى كوى نفسه بعد ذلك فجرى مبتعدا ، ولم يشعر بنفسه الا وهو راقد فى حجرته بالمزرعة ، حيث التقى بوبج تى وكوكاما ••

ولما كانت طبيعة عمل لى كوى فى الغابات قــد أعطته خبرة خاصة بمسالكها ودروبها ، فقد عرض على ونج تى وكوكاما أن يصحبهما ليرشدهما الى طريق آمن الى المنجم ، وفى أعماق نفسه كان يرغب فى الابتعاد عن المنزل الذى عاش فيه مع زوجته وولديه سعيدا •• وعن المكان الذى شاهد فيه مصرع ولده • ولكنهم لم يتقدموا كثيرا •• اذ أوقفهم صوت نداء متبادل بين جماعتين من الجنود ـ أكد لهم خطورة موقفهم ، وسوء مصيرهم • اذا تابعوا السير فى نفس الاتجاه •

وحين بدءوا يسلكون طريقا جــديدا ، بدأت العاصفة •• ثم اشتدت •• ولم يبق أمامهم سوى العودة الينا •• ولحسن حظهم كانت خبرة لى كوى بالطريق كفيلة بتأمين سلامتهما حتى وصــلا الينـــــا •

وتبادلنا الرأى بعد ذلك فيما يجب علينا أن نفعـــله ، وكان واضحا ـ نتيجة للتطورات السريعة للموقف ، التى تلاحقنا بهذه الصورة ـ أنه من المحتم أن نعيد الكرة •• وأن نتقدم فى مجموعات صغيرة أيضا ، ولكن بفاصل لا يزيد عن ٢٠٠ ياردة ، وعلى رأس المجموعة الأولى يتقدم لى كوى • وكان علينا أن نعتمد على أنفسنا ـ كلا بمفرده ـ اذا حدث ما عرقل تقدمنا • وعلى ذلك وزعنـــا ـ فيما بيننا ـ كل ما نملك من دواء وعقاقير •• فمن يصل منا الى المنجم •• يقدم بعض الدواء للطفلين المريضين •

لم يطرق النوم جفوننا طوال هذه الليلة تقريبا ، وحين تغلب ارهاق الجسد على ماكنت أعانيه من قلق وأرق ـ داهمنى كابوس ثقيـــل ـ لم أفق منه الا على صــوت تخيلته نداء من لى لان •• تقول فيه :

– ليو فونج .. استيقظ يا حبيبي .. فالطريق آمن الآن ..!
فناديتها بكل ما أملك من عزم وقوة وأنا أصيح قائلا :

– لى لان .. اين يا حبيبتى ؟ .

لا بد أننى كنت قد تجاوزت المعقول فى هذا الحلم ، الذى كنت أعيش فيه لحظات وددت لو كان حقيقة ، فقد شعرت بأنظار الجميع تحيط بى فى دهشة واستغراب ، وحين استيقظت من رقادى ، سألنى ونج تى عمن تكون لى لان هذه .. التى كنت اناديها فى رقادى ..؟ وسألنى آخر .. عما اذا كنت بخير ..؟

فأجبتهم قائلا :

– اننى بخير والحمد لله .. وأؤكد لكم أننى سمعت صـــوتا يقول لى .. « استيقظ .. فالطريق آمن الآن .. »

وفى هذه اللحظة فقط .. بدأت أولى تباشير الصباح .. حين أخذت الشمس تبرز من مرقدها وتلقى شعاعها الخافت ليبدد حجب ظلام الليل الطويل ..

وهنا صاح لى كوى قائلا :

– قال طيب .. ويوم سعيد باذن الله .. دعونا نبدأ مسيرنا فورا .. فلا تضيع منا لحظات لها قيمتها فى حياة طفلين ..

الفصــل الســادس

كان من حسن الطالع أن يرافقنا لى كوى ، الخبير بهذه المسالك والدروب ، وتتــابعت الجماعات متسللة ، طبقا للخطة المقررة ، وبالفاصل المحدد بين كل جماعة وأخرى ، بحيث لا تتحرك الجماعة التالية .. الا بعد أن تصلها اشارة الأمان من الجماعة المتقــدمة عليها . ولقــد مررنا بأكثر من اثنتى عشرة مزرعة كانت جميعها

مهجورة تماما •• وحوالى الساعة السابعة صباحا •• وصلنا الى السكة الحديدية ، وعبرناها جميعا ـ فردا بعد فرد ، كنا نرى برج منجم فات كونجس على بعد منا ، فجعلناه مرشدنا ، واتجهنا نحوه•• وحين وصلنا الى مسافة قريبة منه ، أدهشنا أن نجد ونج تى ورفاقه أفراد الجماعة القائدة •• ينتظرون وصولنا ، بدلا من أن يتابعوا تقدمهم منفردين ، وحين وصلنا أبدى ونج تى دهشته مما يراه •.• وهو يقول :

ـ لا أدرى ماذا حل بالقوم هنا ! •• لا أرى أى فرد من عمال المنجم ، ولا أتنسم أى حياة •• !

فاقترحت أن نقوم بجولة طويلة حول المنجم ، لنصل الى الأحراش الواقعة خلفه ، وندخل منها الى مؤخرة المنشآت المقامة بالمنجم • فوافقوا جميعا • كانت مظاهر السلب والتدمير واضحة للعيان •• فى كل مكان ، وليس هناك ما يدل على المقاومة أو سفك دماء •• وكان من الطبيعى أن نستبعد حدوث سطو عصابات .. وأن تتجه أفكارنا نحو •• الجنود • ولكن أين رجال المنجم •• وماذا كان مصيرهم بعد هذا العدوان •• ؟

ـ ثم تابعنا طريقنـــا •• ووجدنا ماكنا نبحث عنه •• فرجال المنجم •• جثث بشرية ، مجردة من ملابسها ، ملقـــاة فى الحفر المنتشرة بالمنطقـة ، تغطيها مـــلايين الحشرات •• تنهش فيها • لم نحاول أن نعرف عدد هؤلاء البؤساء ، أو نتعرف على أى منهم • فالمحاولة غير مجدية •• وغير متيسرة •• دار فى ذهننا كل ما كنا نعرفه عن هؤلاء الجنود وما فعلوه فى الصين قبل ذلك •• ولم نتوقع أن نرى منهم ، فى بلادنا هذه ، غير ما فعلوه فى الصين قبل اليوم • يكفى أن يعتدى على أى جندى منهم ، ليكون انتقامهم المريع فى صورة مذابح لمئـــات الأبرياء .. فى كل مكان .. وتنبهنا فجاة • وأفكارنا تحوم حول أهلنا وعشيرتنا وأحبائنا ، الذين تركناهم

خلفنا فى منجم كوان لو •• وارتعدت فرائصنا هلعا ، لما يمكن أن يكون قد أصابهم ••

ووصلنا أخيرا الى منجم كوان لو •• ••

اين هذه الكلاب المتيقظة الساهرة حول المنجم ؟ • وأين صوت نباحها ونحن نقترب منها ؟ وأين حراسنا الرابضون فى مراكزهم المحددة للانذار والحراسة • لماذا يبدو المكان موحشا •؟ خاويا •• لا حركة فيه •• ولا حياة • ماسر هذا السكون الرهيب ! ! أصابنى الذهول ، فانطلقت أعدو الى الداخل •• يتبعنى الباقون ••

كنا على مقربة من المطبخ ، فدفعنا بابه ودخلنا لنرى كل مافيه مبعثرا •• مخربا ، وصاح ونج تى ينادى زوجته وأولاده •• فلم يسمع سوى رجع صوته ، وعلا صونى ينادى العم ليو والعمة هوو •• ولا مجيب ، وهكذا كنا جميعا •• ننادى بلا رجاء ، ثم اندفعنا الى باقى المبانى •• وكانت جميعها فى حالة من الفوضى تنبىء بما توقعناه • وفى حجرة كوان لو •• وجدنا حشية مخضبة بالدماء ، ولما اتجهنا الى أعلى المدخنة •• أدهشنا أن نجد الرشاشين •• مضافا اليهما طبنجة جديدة •• لم تكن لدينا من قبل • فحملت أنا ونج تى الرشاشين ، وحمل وى كيوى الطبنجة ، وتسلح الباقون بالحراب وقطع الحديد •• وانطلقنا نبحث فى كل مكان •• أين يمكن أن يختفي هكذا •• ما يقرب من المائة فرد بين رجال •• ونساء •• وأطفال ! ! ربما يكونون مختبئين فى الملاجىء ولا تصل أصواتنا اليهم •• فأسرعنا نحو ملجأ كوان لو •• وفى طريقنا اليه توقفنا أمام ثلاثة ملاجىء أخرى ، لفت أنظارنا عندها أن أغصان الأشجار والمواد التى كنا قد وضعناها عليها لاخفائها •• قد أزيلت تماما ، وأن الملاجىء قد عريت من كل ما يسترها ويخفيها عن أنظار الفضوليين ، وكانت خالية من كل شىء سوى المياه التى غمرتها حتى الحافة • ثم تقدمنا الى ملجأ كوان لو •• ولدهشتنا وجدنا بابه مفتوحا •• وحوله تنتشر قطع ممزقة من ملابس نسائية ، وخصل

من شعورهن مخضبة بالدماء •• وتابعنا بحثنا الى أن زكمت أنوفنا رائحة عفنة كريهة اتجهنا نحو مصـــدرها ، وبحذر وعناية أزلنا ما يعلو أحد أبوابه ، ولما رفعنا الباب •• سمرت أقدامنا جميعا ، وانعقدت السنتنا . ونحن نرى من كنا نبحث عنهم . جثثا عفنة ، متراكما بعضها فوق بعض داخل هذا الملجأ ، وما جاوره من ملاجيء • وكان في هذا الكفاية لتتضح لنا حقيقة المأساة التى عاشها قومنا !! •• فترة غيابنا عنهم •• والتى لم تزد عن ثلاثة أيام •• ولم يمتلك البعض منا شعورهم فأخذوا ينوحون ويولولون ، وصاح ونج تى يقول :

ــ أغلقوا هذه المقابر •• لعنة الله على هؤلاء الوحوش •• بحق السماء •• سأنتقم لكم أيها الأبرار •• !!

ثم سقط مغشيا عليه ، فنقلناه بعيدا الى حيث يستطيع أن يسترد أنفاسه ، وحين أفاق •• كان يبـــدو هادئا ، ولكننا كنا نشعر بما يدور في داخله •• من صراع • كنا قد اعتدنا أن نحترم رأيه •• وأن نقبل مشورته ، كان لنا بمثابة القائد للجماعة •• وكنا في هذه اللحظة ننتظر منه أن يتكلم •• وأن يأمر •• ولكنه بقى صامتا •• ومرت لحظات علينا طويلة •• حتى قال :

ــ أقسم بأرواح أجـــدادى •• وشهدائى الأبرار •• أننى لن أضعف ولن أستكين •• وأننى سأكرس كل دقيقة من عمرى •• وكل قطرة من دمى •• للانتقام لزوجتى وأولادى •• ولهؤلاء الأبرار •• وسأبدأ من اللحظة ••

ولكنه توقف فجأة حين بدأت المعجزة تظهر أمامنا •• فقد فتح باب الحجرة ، واندفع منها شـــبحان .. كنا نعتبرهما في عداد الشـــهداء ، هما نى سن مساعد الميكانيكى ، وبن لين الكاتب .. وكانت سعادتنا بهما تفوق الوصف ، ولم ننتظر أن يوضحا لنـــا ما أصاب المجموعة ، بل أمطرناهما بالأسئلة المتلاحقة • ، وكانت اجابتهما الوحيدة أن طلبا أن نتبعهما ، وتقـــدما امامنا الى غرفة

الماكينات •• وكم كانت فرحتنا وسعادتنا حين وجدنا لان تا ••
والعم ليو •• يرقدان على حشيتين من القش •• يرعاهما سك كي
•• أحد الكتبة • كان كلاهما في حالة تدعو الى الرثاء •• يعانيان
من جراحهما •• ومن حمى أصابتهما •• ومن صدمة نفسية حلت
بهما •• ورغم حالتهما هذه •• فقـــد كنا سعداء بهما •• ونحن
نراهما ، ونرى الباقين من الأحياء بيننا فاختلطت دموع الألم ••
بدموع الفرح ، وهي تنهمر غزيرة على الوجوه ، فالرجال .. مهما
كانت قوتهم ، وشجاعتهم ، لا بد أن يبكوا أحيانا •• وهذا الموقف
ولا شك ، يحمل على البكاء •• !

رجوناهما الا يتكلما .. وأن يرقدا في هـــدوء واطمئنـــان ،
وكان علينا أن نقوم بواجبنا نحوهما الآن ، لتضميد جراحهما ،
ومحاولة علاجهما .. بما تيسر لنا من دواء ، وبما لدينا من خبرة
•• وان كانت قليلة ، ولكنها بلا شك نافعة • وكان من أجمـــل
الأمور أن نرى الســـعادة والاطمئنان يرتسمان على وجهيهما ••
بعد أن قاسيا أبشع ما في الكون من رعب وقسوة •• وبعـــد أن
حطمتهما آلام النفس الحزينة .. المذعورة .

***

وفي وقت متأخر من هذا اليوم ، كان العم ليو قد تمالك نفسه،
وأصـــبح في حال يمكنه من سرد ما ألم بهم من كوارث •• فبدأ
حديثه بصوت واهن حزين وهو يقول :

ـ بعد أن غادرتم المنجم للبحث عن الدواء ، أخذت الطائرات
اليابانية تملأ سماء المنطقة باحثة منقبة ، الأمر الذى أكد لنـــا
ما سنواجهه من متاعب • وقبل الغروب بدأ دوى انفجار القنابل
يقترب منا ، وأزيز طلقات الرصاص يقضي على السكون الذى يحيط
بنا ، ومع دورات الساعة •• كانت هـــذه الأصوات تقترب ••
وتشتد ، وضاعف قلقنا ولهفتنا ، تأخركم في العودة الينا ، بينما

القوات اليابانية تملأ المنطقة وتسد المنافذ وهي تطـــارد القوات الانجليزية المنسحبة •

وتوقف العم ليو لحظات قليلة •• كمن يحاول أن يجمع شتات أفكاره •• ثم تابع حديثه قائلا :

ـ توقعنا أن تحل بنا المتاعب هـــذه الليلة ، فعملنا مسرعين على زيادة اخفاء ملاجئنا ، وتناولنا وجبة العشاء مبكرين ، ودخلنا الملاجىء وأحكمنا غلقها • كانت أصوات القتال الدائر تصلنا طوال ساعات الليل ، وقبل الفجر سمعنا نباح الكلب المربوط فى الركن الجنوبى الغربى للمنجم ، ولم تمض لحظـات حتى أسكت بطلق نارى •• وبعدلحظات أخذت باقي الكلاب تنبح بشدة كما لوأصيبت بمس من الشيطان • وكنا على يقين من وصول اليابانيين الينا •• بين لحظة وأخرى ، ولكن الدقائق مرت طويلة قاتلة ، ولم يحـدث شيء !

وفى الصباح أرسلنا فردين لاستطلاع الموقف فى الخـــارج • فعادا بهذه الطبنجة ، وهى كما ترون انجليزية الصنع ، فتأكد لنا أن من زارونا بالأمس ، كانوا من الانجليز ، وفى الحال ارسلنا من وضع الطبنجة في المخبأ مع الرشاشين •• وعينا داورية من ثلاثة أفراد تراقب المنطقة من أعلى البرج •

وقبل أن تمضى ساعة واحدة •• أنذرتنا الدورية باقتراب ثلة من اليابانيين فأحكمنا غلق الملاجىء علينا •• وبدأت الـكلاب تنبح بعنف وشدة ، وسمعنا بعدها صوت طلقات أسكتت الكلب الموجود على المدخل •• وبعد لحظات تتابع اسكات باقى الكلاب •• ولم تمض دقائق حتى سمعنا صوت محرك لورى كبير وعلا صياح الجنود وهم ينزلون منـــه •• ثم وهم ينتشرون مبتعدين عنا • ليقوموا بالتفتيش فيما حول المنجم وفى داخل منشآته ••

كان الرعب يملأ قلوب النساء والأطفال •• وكانت قلوبنا تكاد تتوقف نبضاتها •• حين نسمع اقدام الجنود تقترب منا ، وطالت

لحظات رعبنا وهلعنا ، وفجـــأة •• توقفت خطوات الجنود وهي فوقنا تماما •• ووصلت الينا أصواتهم بوضوح •• وكانت لحظات مثيرة •• كتمنا فيها أنفاسنا تماما •• ونحن نحاول أن لا تبـدر منا حركة ، أو يصدر عنا صوت يكشف أمرنا ، ولكن القدر كان ضدنا ، اذ لم تستطع أعصابنا أن تتحمل ماكنا فيه ، فما بالك بالأطفال ! فانفجر أحدهم يبكي ويصيح •• بعد أن عز عليه الهواء النقي •• وذهبت جهودنا سدى لاسكاته ، وضاعت فرصتنا في النجاة ، ولم تمض لحظات •• حتى كان باب الملجأ قد انفتح •• وظهر عليه ثلاثة من الجنود ••

وهنا انتابت العم ليو نوبة من السعال الحاد ، خشينا أن تصيبه بأذى ، وهو على هذه الحال من الضعف •• والوهن ، فأوقفناه عن الحديث الى أن ينال قسطا من الراحة ، ولما استرد أنفاسه ـ بعد أن تناول قدحا من الشـــاى المركز ـ عاود الحديث ونحن جلوس حوله ، على شوق للمتابعة •• فقال :

ـ ولما خرجت من الملجأ •• تبينت أن أمرنا جميعا قد انكشف ، وأن باقي الملاجيء قد أخليت من اللاجئين اليهـــا ، وكان الجنود يحيطون بنا احاطة السوار بالمعصم ، وهم يامروننا بالاصطفاف في مجموعات •• بعد أن فصلوا الرجال عن النساء •• عن الأطفال •

وبعد لحظات ، أقبل الضابط الذى يقود هذه القوة ، محاطا بضابطين أصغر رتبة •• وهم جميعا يرمقوننا بنظرات الغيظ •• والحقد •• والتشفي وصاح القائد يقول بلغة انجليزية ركيكة :

ـ هل أنتم تتكلمون الانجليزية •• هل تفهمون الانجليزية ••؟

فلم يجبه أى فرد منا ، اذ كنا في حالة من الرعب تشـــل السنتنا ، ثم تابع القائد حديثه قائلا :

ـ من صاحب هذا المكان •؟

ـ •• ••

ـ من صاحب هذه العربات .. ؟
ـ .. ..

وبعد لحظات فاجأنا كوان لو وهو يتقدم للأمام ويقول :
ـ هذا المكان وهذه العربات ملك لى ..
فرمقه القائد بنظرة قاسية وهو يقول :
ـ سلمنى المفاتيح حالا ..
فأخرج كوان لو حزمة المفاتيح من أحد جيوب سترته وأعطاها له .. وتابع القائد أسئلته وهو يقول :
ـ هل أنتم جميعا صينيون ؟
فأجابه كوان لو قائلا :
ـ اننا من الصين فعلا ..
ـ هل أنتم من أتباع شيانج كاى شيك .. أم من أتباع وانج شنج وى ؟
ـ لقد أتيت الى هنا وأنا طفل .. وعشت فى الملايو أكثر من أربعين عاما .. وحين أموت .. سأموت فى الملايو .. فأنا الآن أنتسب الى الملايو .. وهى وطنى
ـ أنت كاذب أيها الوغد ..
قالها وهو يستدير نحو أحد جنوده ويأخذ منه بعض الأوراق التى عثروا عليها فى المنجم .. قبل أن يتابع حديثه قائلا :
ـ أنت كاذب أيها الكلب .. هذه صور شيانج كاى شيك .. وأنتم من أتباعه .
ثم توقف قليلا قبل أن يقول :
ـ هل مر الانجليز من هنا هذه الليلة ؟
ـ لم نشاهد أحدا منهم .. كنا نختبىء هنا طوال الليل .. كما وجدتمونا ..

ـ كاذب .. كاذب .. والكذب صفة سيئة فى الرجال ، أنتم لا تتعاونون مع جنود جلالة الامبراطور ..

قالها وهو يستدير ليأخذ من الجندى صـــورتين وحوذة .. ثم يقول :

ـ هذه خوذة جندى انجليزى .. وهاتان صورتا ملك الانجليز وملكتها ، لقد وجدناهما فى المنجم .. أنتم تحبون الانجليز .. وتتعاونون معهم أيها الخونة .

ـ نحن لا نحبهم .. ولا نتعاون معهم .. فنحن نحب الملايو .. فقط ..

ـ لماذا لم تهاجروا كما فعل غيركم .. لقـــد سلحكم الانجليز لتقفوا ضدنا ، وتقاتلونا .. أنتم جواسيس .. طابور خامس ..

ـ نحن لم نهاجر وفضلنا البقاء هنا لنحافظ على المنجم .

فانفجر القائد غاضبا واستدار نحو ضباطه ملقيا أوامره .. وتوالت الأوامر تصدر من القادة الى المرءوسين .. وتجمع الجنود حول مجموعاتنا .. وأمرونا بالسير ، كل فى اتجاه معين ـ ثم أمروا كل جماعة بالوقوف صفا واحدا أمام أحـــد الملاجىء .. وأن نخلع كل ما علينا من ثياب .. والا نتحدث فيما بيننا .. والا تصدر منا أية حركة .

وفجأة انهار أحد الرّجال وأصيب بصدمة أفقدته العقل وسقط على الأرض يصرخ ويولول ، فتقدم أحد الجنود وطعنه بالسونكى .. فبرزت أحشاؤه ، وتفجرت دماؤه .. ثم سكت الى الأبد .. وبعدها تقدم جندى ثان وسحب الجثة وألقاها فى الملجأ ..

وبعد لحظات .. كنا نحن الرجال ـ نقف فى مواجهة طاقم رشاش جاهز للضرب ، وخلف الرشاش كانت تقف ثلة من ستة

جنود شاهرة سيوفها ، ثم صدرت أوامر القائد .. الى الطاقم .. « استعد . صوب . اضرب » . فانهمرت نيران الرشاش تحصدنا حصدا ، فشعرت بألم مضن فى ساقى .. وسقطت فاقد الرشد .

وحين تفتحت عيناى ثانية ، كنت أرقد فى غرفة المـــاكينات والى جوارى يرقد أيضا تان تا .. وحولنا ثلاثة رجال ينظرون الينا بعطف وحنان . لقد كانوا أفراد الدورية التى كانت تقف أعلى البرج ، لتراقب المنطقة ، وتحذرنا من اقتراب الجنود .

وتابع نى سن ، أحد الثلاثة ، الوصف .. فقال :

ـ بعد أن سقط الرجال صرعى نيران الرشاشات .. تقـــدم الجنود مسرعين وانهالوا بسيوفهم طعنا فى الجثث ، ثم ألقوا بها فى الملاجىء القريبة منهم ، ثم أغلقوا الملاجىء ووضعوا الأحجـــار والتراب عليها ..

ثم اتجـــه الجنود نحو النساء والفتيات ، واتجهوا بهن نحو الأحراش ، وتعالى الصراخ والعويل .. وحين خمدت الأصوات عاد كل جندى يحمل جثة ، ويلقى بها فى الملجأ .. وما حل بالرجال .. كان قد حل بالأطفال .. وفى أقل من ساعة كانت هذه الأرواح البريئة قد أزهقت ، وسكتت الى الأبد ! .

وحوالى الظهر ـ صدرت أوامر القائد بالتجمع والعودة . وحين ابتعدوا بعيدا ، نزلنا من مخبئنا فى البرج وأسرعنا نحو الملجأ القريب منا ، ولفرحتنا سمعنا حشرجة صـــوت يستجير ، ورأينا يدا ترتفع وتسقط ، فرفعنا ما على السطح من جثث .. وحملنا ليو كام كو .. خارجا (العم ليو) . وعلى أمل أن نجد أحيـــاء آخرين تابعنا البحث ، فوجدنا لان تا .. وبه بعض أنفاس تتردد فى وهن .. وبطء .. فحملنا الجريحين الى هنـــا .. وعملنا على اسعافهما .. بقدر ما توفر لدينا من امكانيات ..

الفصل السابع

كانت أولى خطواتنا بعد ذلك ، البحث في كل مكان عما يمكن الاستفادة منه من ثياب أو مهمات ·· أو مخلفات لنا ، تركها اليابانيون خلفهم دون اتلاف أو تدمير ·· وقد اكتشفنا أنهم لم يتركوا لنا الكثير ··

وحين كنت أنقب وأبحث في حجرة كوان لو ، وأحاول رفع حشية مخضبة بالدماء ، اصطدمت يدى مصادفة بأحد أركانها وكان شبه متحجر ـ فمددت يدى داخل الحشية ـ بعد أن مزقتها ـ فوجدت صرة من القماش بداخلها عدد من قطع المجوهرات الماسية والذهبية ·· فواليت البحث بعناية أكثر فعثرت في حشية أخرى على صندوق صغير من المعدن ، به أوراق مالية من فئات مختلفة تتراوح بين المائة والألف من الدولار أو الجنيه الاسترلينى ، كما عثرت في خوان للملابس على درج سرى بداخله شيكات مصرفية بمبالغ كبيرة مستحقة السداد على مصارف فى سنغافورة وهونج كونج ·· فقمنا بحصر هذه الأشياء وسجلنا بيانها وسلمناها الى ونج تى ، ولكنه أصر على أن تسلم الى العم ليو باعتباره أقرب الأحياء من أسرة كوان لو ، فوضعها فى مخبئه الأمين مع باقى مقتنياته التى نجت لحسن الحظ من عبث اليابانيين ·

وكان علينا بعد ذلك أن نؤمن أنفسنا من مفاجأة العدو لنا في هذا المكان ·· وأن نستعد للهرب حين نرى ما يهدد سلامتنا ، دون أن تغفل حالة العم ليو ولان تا ، فأعددنا لكل منهما محفة بعناية وقد حاولنا أن نوفر لهما الراحة قدر الامكان · ولم نغفل أيضا مطالبنا من الزاد والمواد الطبية التى سنحملها معنا ·

وفى الصباح التالى ، بدأ نشاطنا يأخذ شكلا ايجابيا أوسع مدى ، فقسمنا أنفسنا الى مجموعات صغيرة ـ خرجت على التوالى

ـ تجوب المنطقة لتستطلع نشاط العدو ، وتبحث عما يمكن أن يكون مفيدا لنا . ولما عادت المجموعة الأولى كانت تحمل رشاشا وكمية من الذخيرة وجدتها بجوار جثة جندى انجليزى مسجى فى حفرة • وعادت المجموعة الثانية تحمل بندقيتين وكمية من الذخيرة ••• وجدتها فى احدى المزارع المهجورة •

وهكذا استمرت المجموعات فى عملها ثلاثة أيام متوالية •• فلم يصادفنا خلالها أى متاعب . وكان من المحتم علينا أن نبقى فى المنجم الى أن يتم شفاء الجريحين ، أو حتى يصبحا فى حالة تسمح لهما بالسير •• وكانا لحسن الحظ يستردان نشاطهما وحيويتهما بشكل ملحوظ •

وبعد ظهر اليوم الرابع ، أنذرتنا دورية البرج باقتراب احدى السيارات العسكرية فى اتجاه المنجم ، فأسرعنا الى حجرة الماكينات وأحكمنا غلقها علينا •• ومن شراعة احدى النوافذ المكسورة أخذنا نراقب العربة بحذر وسكون ، وكانت صغيرة من طراز عربات القادة التى يعلوها علم صغير ، وقد وقفت أمام باب منزل كوان لو القريب من مخبئنا ، ونزل السائق الذى كان يرتدى حذاء طويلا ويتدلى من وسطه سيف يحاول أن يرفعه عن الأرض ـ بيده اليسرى • ثم فتح الباب الخلفى للعربة ونزل منه شخصان يرتديان مثل زى السائق ، وهما يحيطان بفتاة فى مقتبل العمر ، ويدفعانها أمامهما دفعا • كانت يداها موثقتين خلف ظهرها ، وفمها مكمما ، ومع ذلك فقد كانت تقاومهما بكل ما أوتيت من قوة ، وشجاعة •• ولكن جهودها كانت تذهب سدى • وحين اختفوا بها داخل المنزل •• التقت نظراتى مع نظرات ونج‌تى •• والتقت أفكارنا •• واتحد عزمنا ، ماذا يكون جزاء هؤلاء الكلاب ؟•• الموت •• !!

فحملت رشاشى ، وتقدمت يتبعنى جانجيتا مسلحا بطبنجة •• وتقدمنا نتلصص صوب المنزل • وكان اليابانيون الثلاثة أشد اهمالا وغفلة مما قدرنا ، وكان تفكيرهم منصرفا الى الفتاة وحدها ،

فلم يؤمنوا أنفسهم ، ولم يغلقوا بابا أو نافذة ٠٠ بل كانوا يحاولون اسكات الفساه وارغامها على الرقاد دون مقاومة ٠ وفجأة صحت فيهم آمرهم بالاستلام بلا مقاومة ، فاســـتداروا مذهولين ، وكان مظهرى وسلاحى فى يدى ٠٠ يوضح لهم بجلاء أن الأمر بعيد كل البعد عن اللهو والعبث ٠٠ فاستجابوا لأمرى ونظرة الرعب تملأ عيونهم ٠ ثم أمرتهم بالاستدارة نحو الحائط ، ثم تقدم ونج‌تى ــ وكان قد ببعنـــا ــ فدخل الحجرة ودفعهم نحو الحـــائط ، ودعا جانجيتا ليقيد وثاقهم .. ثم التقط حزاما صــوفيا وربطه حول فوهة سلاحه ــ ليساعد على كتم الصوت عند اطلاق الرصـاص عليهم ، فى أسفل الأذن ، وفى ثوان كان قد أجهز على الثلاثة ٠٠

تم كل هذا فى دقائق قليلة ٠٠ اندفعنا بعدها نحو الفتاة نفك وثاقها ، ثم عدنا بها الى مخبئنا لنتدارس أمرنا ، ونقرر بسرعـة ما سنفعله ، قبل أن يفد الينا باقى الجنود ، بحثا عن ضباطهم ٠٠

كانت الفتاة ــ رغم ما كان يبدو على محياها من مظاهر الألم والخوف ــ على جانب من الجمال جـــذبنى اليها ٠ وكانت ترتدى ثوبا أعطينهـــا اياه بدلا من ثوبهـــا الذى تمزق ، وكان محكما على جسدها بعض الشىء فأبرز أنوثتها ، وزاد جمالها . وهى تجلس بيننا ، وتجيب على سؤال وجهه لها ونج‌تى ، حيث قال :

ــ هل توضحين لنا ، كيف وقعت بين أيديهم ، ومن أين أتيت، ومن هو والدك ، وما مصيره ٠٠ ومصير أسرتك ٠٠؟

كنت أرى أن توجيه مثل هذه الأسئلة أمر سابق لأوانه ــ وأنه كان من الواجب ان نوفر لها الاطمئنان والراحة أولا .. قبل ان نرهقها بالأسئلة ، ولكننا كنا فى عجلة من أمرنا ٠٠ وكان من المحتم أن نتصرف بسرعة ٠٠ تجنبا لمزيد من المتاعب التى قد تحل بنـا ٠ واستجمعت الفتاة شجاعتها ، وأفاقت من اضطرابها وبدأت حديثها بصوت هادىء قائلة :

ـ والدي ماتاك ٠٠ جواهري يقيم في كامبار ٠٠ وقد هاجرت مع أسرتي من أسبوعين الى مزرعة يملكها والدى تبعد عن منجم سى تك كونجس بحوالي نصف ميل ، وهو ملك لوالدى أيضا ٠ وكان قد أعد والدى مخبأ من الخرسانة المسلحة ـ أسفل احـدى حجرات المنزل بالمزرعة ٠ ومنذ أيام ـ حين سمعنا طلقات الرصاص تدوى حولنا ـ لجأنا جميعا الى هذا المخبأ ، وبقينا فيه حوالى ثلاثة أيام .. كنا نسمع خلالها أصوات أقدام الجنود وهي تعيث بالمنزل فسادا ـ حين كانوا يترددون في مجموعات ٠ ثم ساد المنزل هدوء شامل ٠٠ واستمر الهدوء طويلا ٠٠ فرأى والدى أننا في موقف يسمح لنا بالخروج ٠٠ والحياة فوق سطح الأرض ، فخرجنـا ـ وكان ذلك منذ يومين ـ وعند شروق شمس هـذا اليوم ، أحاط الجنود بنا فجأة ٠٠ دون أن نتمكن من الهرب ٠ كانوا كثيرين ٠٠ وقد أرغمونا جميعا على الركوع أرضا ٠٠ ودار حديث قصـير بين الضباط الثلاثة .. ثم تقدموا نحوى ورفعونى قسرا ٠ صرخت والدتي تطلب الرحمة ، فدفعها أحد الجنود بقدمه ، وألقاها ارضا ٠٠ وحين قام والدى يبدى اعتراضه ٠٠ دفعوه بمؤخرة البندقية في رأسه ، وحملونى بعد ذلك الى العربة وركبها الضباط الثلاثة ٠٠ وأحضرونى الى هنا ٠٠ والباقي تعرفونه ٠٠

وقبل أن نمطرها بأسئلتنا ، اندفع أحد الحراس نحونا ينبئنا بأن قوة يابانية تتجمع على بعد ميل منا ، فاتجه تفكيرنا الى أنهم ينتظرون عودة ضباطهم الثلاثة ٠٠ فاستقر رأينا على مغادرةالمنجم فورا ٠

وقد أبرز ونج تي صفات القائد المحنك وهو يلقى تعليماته بسرعة ٠٠ وهدوء ٠٠ وثبات ٠ فقام كل منا بما كلف به ٠٠ وحملنا جرحانا ، ومئونتنا ، ومهماتنا ٠٠ وفي أقل من عشر دقائق كنـا نسلك طريقنا غربا ٠٠ في اتجاه النهر ٠

لم نهمل عامل الأمن في تقدمنا ٠٠ وصرفنا بعض وقتنا وجهدنا

.. ونحن نتحسس طريقنا بحذر وعناية ، وكانت الفتاة تسير الى جوارى مرفوعة الرأس ، قوية البنيان .. سألتها اسمها .. فأجابت :

ـ سوت وان .. وما اسمك أنت ؟ .

ـ ليو فونج

ودار الحديث بيننا .. وكان بداية الألفة التى شملتنا ..

***

كانت الشمس قد أخذت في المغيب حين وصلنا الى احدى المناطق الجبلية التى تشرف على ما حولها من أراض زراعية خضراء. وتقدمت جماعة منا تبحث عن مأوى صالح .. فعثرت على كهف قريب في باطن الجبل ، تقدم ونج‌تى ومرافقوه الى فتحته ودخلوا يستطلعونه على ضوء مشعل كهربى ، ولما عاد ونج‌تى ، أوضح صلاحية الكهف لنقيم فيه الليلة ، فوضعنا أمتعتنا ، ودبرنا أمر اقامتنا ، ولم نهمل الحراسة طول الوقت . وحين كنا نستعد لتناول وجبة العشاء قدم ونج‌تى الفتاة للمجموعة وهو يقول :

ـ اننى أعتبر سوت وان .. كابنتى .. من الآن .. وهى حرة فيما تفعل دون ازعاج من أحد ، وأريد أن ترى بنفسها أنها بين رجال شجعان شرفاء .

وبعد العشاء جلسنا نتسامر ، وجلست سوت وان الى جوارى ، وحين أبديت لها دهشتى من قوة تحملها للمشاق ، أجابت بأنها نشأت رياضية وتمارس الكثير من الألعاب ، وتحافظ على قوتها وصحتها . ثم بدأت تحدثنى عن نفسها ، وهى تشير الى ما أصابها اليوم .. وفجأة استدارت نحوى تشكر لى ما فعلت من أجلها ، فأجبتها باننى لم افعل ما يستحق الشكر وأن الفضل لونج لى وجانجيتا . فابتسمت وهى تقول انها تدين لنا جميعا بالكثير .

وقطع حديثنا دعابة أطلقها وى كيوىَ ، وهو يصـــور لنا بها ـ من وحى خياله ـ كيف وجد الجنود ضباطهم الثلاثة مخضبين بدمائهم ! . وتحول حديثنا جميعا نحو هذا الموضوع ونحن نتساءل فيما بيننا عما اذا كنا قد تركنا خلفنا ما قد يرشدهم الينا . والى شخصياتنا ؟ . الأمر الذى أقلقنا واقض مضاجعنا ، وبعد لحظات صاح ونج تى قائلا :

ـ اذا تحقق لنا خلو هذه المنطقة من الاعداء ، فمن الأسلم لنا ان نبقى فى هذا الكهف بضعة ايام اخرى . وقبل أن نغادر الكهف يجب ان نتأكد من نوايا العدو نحونا ، بعد أن صرعنا ضباطهم ، وأن نستعد لنقاومهم قدر جهدنا . يجب أن ننظم مقاومتنا . وأن نعمل على تعطيلهم وازعاجهم ، وحين نشعر أننا قد انتقمنا لشـــهدائنا الأبرار . وان أرواحهم قد استراحت راضية . فلـكل منكم ان يختار الحياة التى يريدها . وأن يذهب أينما شاء ، ولكن . وقبل كل شىء . أدعوكم باسم هؤلاء الشهداء الأعزاء الا يخون اى فرد منا باقى الجماعة . فلا يفشى سرها ، ولا يرشد عن أعضائها مهما كانت قوة الاغراء ، ومهما تحمل من ألم ، ومهما طال العذاب ! .

فأيد العم ليو هذا الراى وهو يقول :

ـ لا يوجد على وجه الأرض ما هو أبشع من خيانة الصديق لصديقه ، وعلينا من اليوم أن نكون حريصين فى كل كلمة نقولها ، أو حركة نقوم بها . فقد يكون فيها ما يكشف أمر علاقتنا بمصرع هؤلاء الضباط .

***

ومضت ســاعات الليل فى هدوء ، وحين كنا نتناول طعـــام الافطــار فى الصباح ، اقبل أحد الحراس مهرولا وهو يقول انه شاهد حركة بين الأعشـــاب على بعد حوالى مائة ياردة من موقع حراسته ، ويعتقد أن بعض الأشخاص يختفون فيها ويراقبون الكهف

ومدخله . فاندفعنا للعمل في الحال . واتخذنا مواقع مستورة تكشف لنا ما حول الكهف وبدأنا نراقب أمامنا ، مركزين اهتمامنا حول منطقة الأعشاب هذه . وبقيت آذاننا وعيوننا متيقظة تسمع وتراقب ! .

وفجأة لمحت وجها ملتحيا يبدو من خلال فتحة ضيقة فى العشب القائم أمامى .. ثم يختفي بسرعة ، وبعد لحظات قليلة بدا وجهان آخران ، ولفت نظرى ان هذه الوجوه اوربية . وليست صفراء يابانية ، وأخذت أفكر هل يمكن أن يكونوا جنودا بريطانيين ! وحين قفزوا يعبرون ثغرة بين الأعشاب ، ميزت زيهم وسلاحهم ، وتأكدت لى جنسيتهم البريطانية . وبدون أن أستشير ونجتى أوباقى الرفاق ، وضعت سلاحى أرضا ، واتجهت نحو الأعشاب متعمدا أن يرانى هؤلاء الجنود أعزل من اى سلاح ؛ وحين وصلت الى حافة العشب صحت أناديهم أن ينضموا الينا ، وان يتناولوا افطارهم معنا ، ولم تمض لحظات حتى كانوا — ثلاثتهم — يتجهون معى نحو الكهف . حيث تناولوا معنا وجبة الصباح .

وبعد ان انتهى الافطار بدا قائدهم الحديث موضحا انه ملازم استرالى الجنسية اسمه ياتس ، والثانى جندى استرالى أيضا اسمه كوبت والثالث عريف اسكتلندى اسمه ساندى .

سألنى ياتس عن الفتاة ومن تكون ، فأجبته الى ما طلب بعد ان لاحظت اعجابهم بها وميلهم اليها . وسألنى كوبت عن معنى اسمها فقلت « السحاب الأبيض » فقال ياتس : بل سأطلق عليها اسم « سوزى » ، ثم حاولوا أن يتبادلوا معها الحديث فلم تستطع فهم لغتهم . وحين أخبرتها بأن ياتس يطلق عليها اسم سوزى ابتسمت موافقة وهى تردد هذا الاسم الجميل . ثم أبدت رغبتها فى أن تطلق عليهم — هى أيضا — أسماء من عندها .

فأشارت الى ياتس وهى تقول « كولو » — (الرجل الطويل) ، واستدارت الى كوبت وقالت « واسو » — (الرجل الملتحى) ..

ثم نظرت الى ساندى . وتوقفت والابتسامة المشرقة تتسع على وجهها قبل أن تقول « تايبى » ـ (ذو الأنف الكبير) .

***

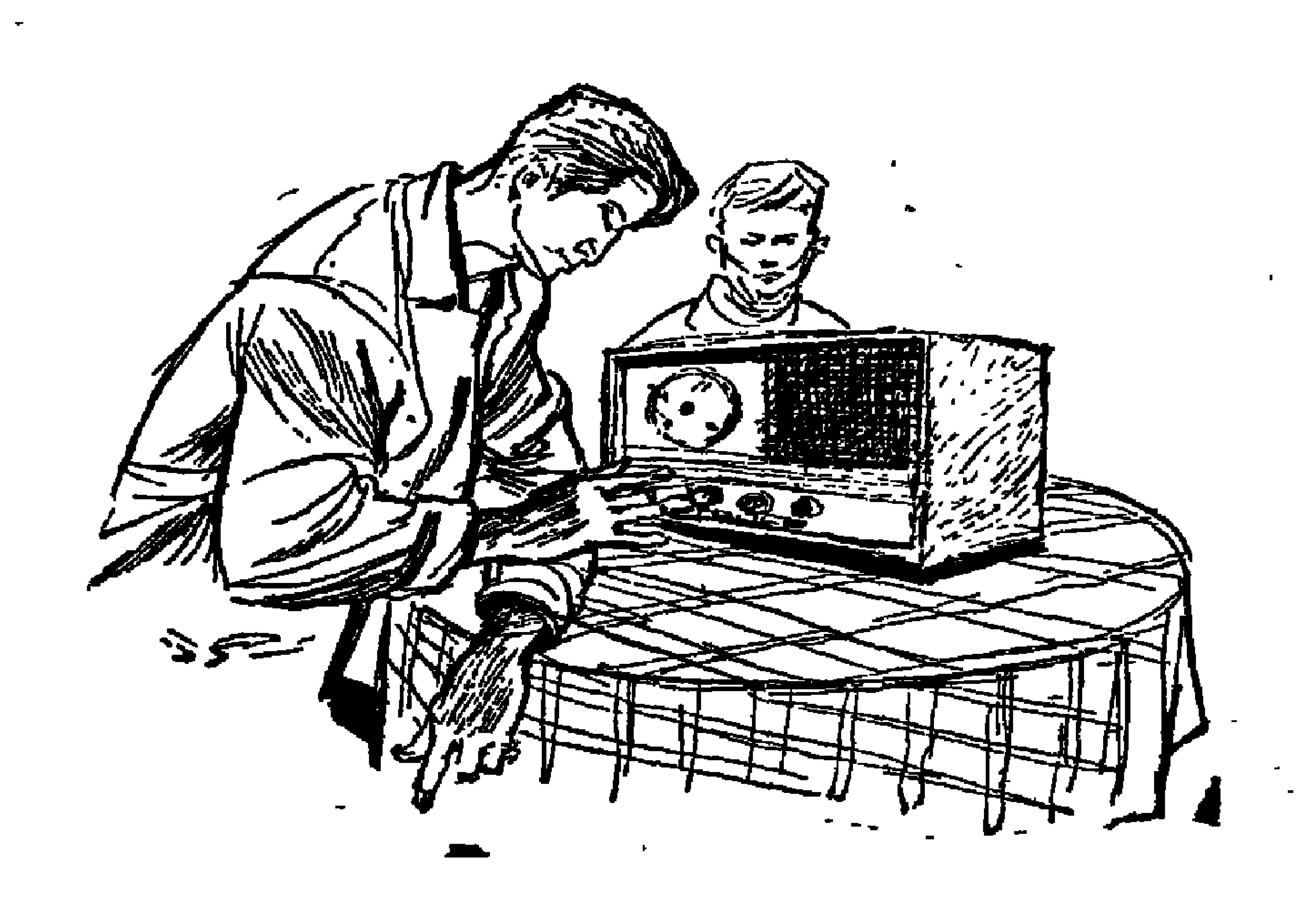
وفى حديث دار بيني وبين ياتس « كولو » بعد ذلك . أريته الطبنجة التى عثرنا عليها فى المنجم ، وكم كانت دهشته حين تبين فيها طبنجته التى فقدها ، وبعد أن فحصها بدقة ميز رقمها وتأكد منها ، فصاح متعجبا وهو يسألنى اين وجدتها ؟ . فأجبته عن سؤاله ، وتابعنا الحديث حول موقفنا وتأكد لنا ان اهدافنا واحدة محددة . وأنها قطعا ليست فى جانب عدونا المشترك . الأصفر ! . ثم تابع حديثه : بأنهم كانوا مشتبكين فى قتال مع دورية يابانية بالقرب من كولا ديبانج ، وتخلصوا من القتال بصعوبة حين سترهم ظلام الليل ففروا هاربين ، وعند الفجر وصلوا الى هذه المنطقة ، وارادوا أن يختفوا خلال ساعات النهار فى أحد هذه الكهوف .. ففوجئوا بنا .. وحين رأوا بعضنا يحمل سيوفا يابانية حاولوا ان يتجنبونا ولكن انظارنا وقعت عليهم .

ثم اجتمعنا على حدة كطلب ونج تى . وبحثنا موقفنا ازاء هؤلاء الجنود الثلاثة ، ولم نجد ما يحول دون انضمامهم الينا ، بل وجدنا فى انضمامهم تدعيما لنا ، وفى سلاحهم قوة تعضدنا .. وبدأنا ننظم أمورنا ونستعد للمستقبل .

الفصل الثامن

ذات صباح عاد وى كيوى وآه فونج يحملان جهازا كبيرا للراديو ، وبطارية لتشغيله ، استطاعا شراءهما من احد سكان قرية قريبة بثمن زهيد ، وكان القروى يخشى أن يفاجئه الجنود والجهاز بمنزله . وبعد ساعات قليلة استطعنا اعداد سلك « اريال »

عموده وضعناه فى مكان مناسب لتشغيل الراديو ، مع مراعاة الا يلفت الأنظار الينا . وكم اثارتنا اللحظات التى كنا نعده فيها للعمل قبل أن نستمع الى صوت المذيع وهو يصل الينا منه . وحين استمعنا للمرة الأولى ــ بعد اسابيع ــ الى محطة اذاعة سنغافورة ورغم ان الارسال كله كان مركزا على نشرات اخبارية ، فان هذه النشرات هى التى وضعتنا فى مجال الادراك بالنسبة لما يحيط بنا من أحداث ، وما يجرى جولنا من صراع . وكنا قبل ذلك لا نعلم الا القليل عن الموقف الحربى وتطورات الهجوم اليابانى .. ولا نعرف ان قواتهم قد وصلت يوم ١٠ فبراير الى مشارف سنغافورة . حيث تركت زوجتى وطفلى ، وأن المدينة تتعرض فى هذا الموقف لهجوم جوى شديد . ومن نشرات يوم ١٢ فبراير علمنا أنهم قد استولوا على مشارف المدينة ، وأنهم يصلون باقى أحيائها بنيران مدفعيتهم ويدمرون كل ما فيها تدميرا ، وأن المدينة تندلع فيها النيران فى كل جزء منها ، وان من بقى من سكانها حيا لا يجد مأوى ولا طعاما . بل ولا مفر من المصير الرهيب الذى يواجهه فيها .



وفى السادس عشر من فبراير ، اعلن راديو طوكيو أن قوات امبراطور الشمس المشرقة قد أتمت تحرير الملايو من أعداء شعبها الأمين ، وان هذا الشعب قد أصبح الآن فى رعاية جنود جلالة الامبراطور ، ليبدأ عهدا جديدا مشرقا من تاريخ بلاده المجيد .

وفى هـذه النشرة ايضا اطلق المذيع اسم « مارايبى » على الملايو ، واسم « سايونان » على سنغافورة ، وحذر من استخدام الاسمين القديمين الذين يشيران الى عهد الاستعمار البغيض ! .

وكان هذا الجهاز وسيلتنا الوحيدة للالمام بالموقف فى شمال افريقيا والشرق الأوسط .. وكنا نستمع الى محطات كثيرة مختلفة الاتجاهات والأهداف ، وبمقارنة ما تقدمه لنا كل هذه المصادر نستطيع أن نتبين الخبر الصحيح من الكاذب ..

وحين كثر الحديث عن سنغافورة . بدأت اشعر بحنين طاغ يدفعنى الى العودة اليها .. فهناك زوجتى وطفلى . وهناك قومى وعشيرتى .. وقد استطيع هناك ان أؤدى واجبى الوطنى بصورة أوسع . واقوى ــ مما يتيسر لى هنا الآن ..

لقد تركت لى لان .. على وعد بالعودة بعد ايام قليلة .. وقد طالت هـذه الأيام وتجاوزت الستين ــ حتى الآن ــ وكانت كلها متسمة بالقسوة .. والعنف . كنت اشاهد ما يفعله الجنود بالأطفال والنساء . فيتجه تفكيرى وذهنى . نحو زوجتى وطفلى . وهما وحيدان بين قطيع من الذئاب الضارية .

وذات مساء كنت أرقد أسفل شجرة مورقة الأغصان استعيد ذكرياتى وايامى الحلوة فى سنغافورة مع لى لان ، وكانت هـذه الذكريات قد استغرقت كل حواسى فلم أشعر بما يدور حولى ، وفجأة تنبهت الى وجود سوزى راقدة الى جوارى ، فتملكنى القلق والخوف . فهذه هى المرة الأولى التى نخلو فيها معا ، فى جو

شاعرى جميل ـ قد يدفعنا الى الخطيئة ـ فنهضت مسرعا وانا اقول :

ـ منذ متى وانت ترقدين هكذا ؟ »

ـ دقائق قليلة .. هل فى هذا ما يؤلمك .. أو يؤذيك .. لقد كنت مستغرقا فى أفكارك .. ففضلت عدم ازعاجك ..

ـ يجب الا تفعلى هذا مرة ثانية .. ماذا يظن بنا الآخرون ؟ »

ـ ماذا يظنون ؟. وما لخطأ فيما فعلت !. ألم يقل ونج تى اننى حرة فيما أفعل ؟

ـ ألا تعلمين يا سوزى أننى متزوج .. وأننى أب لطفل .. وأن زوجتى وطفلى ينتظران عودتى اليهما فى سنغافورة ..

ـ نعم أعرف .. فقد أخبرنى العم ليو .. اننى أرثى لك .. ولزوجتـــك ..

ـ سوزى .. نحن نعيش فى ظروف غير عادية ، وأنت الفتاة الوحيدة هنا .. بين ثمانية عشر رجلا ، وأى خطأ منا قد يودى بنا جميعا . أرجو أن تلاحظى هذا .. وأن تتروى كثيرا قبل أن تقدمى على أى عمل . وأخيرا .. أرجو أن تعودى ثانية الى مرقدك .

فقامت وذهبت الى الكهف .. دون أن تعلق على حديثى بكلمة واحدة .. ترى هل أسأت اليها ؟. وهل جرحت احساسها الرقيق المرهف ! هل أصبحت تكرهنى لهذا الذى فعلته معها !. وهى التى كانت دائما تحرص على أن يحترمهـا الجميع . والا يتجاوزوا فى حديثهم معها .. وعلاقتهم بها .. الحدود اللائقة . واستغرقت فى النوم دون أن أشعر .. وحين استيقظت قبل الفجر بقليل .. وجدت فوقى غطاء من الصوف ، علمت فيما بعد أن سوزى هى التى وضعته ، فارتاحت نفسى وتأكدت أنها لا تحمل فى نفسها شيئا ضدى .. وأنها قد عفت عن اساءتى اليها ..

الفصـل التاسع

لقد حملني واجب البر بوالدتي على الحضور هنا ، في منطقة القتال هذه ، التي يدور فيها الصراع عنيفا ، والآن فان واجبي نحو زوجتي وطفلي يحتم على أن أعود اليهما فورا • ولذا فقد استقر رأيي على السفر الى سنغافورة خلال الأيام القليلة القادمة ، ولن يقف في طريقي أي حائل • وحين أعلنت عزمي هذا ــ بين زملائي ــ ثار الكثير من النقاش والجدل ، ورأى العم ليو أن يجمعنا جميعا لتبادل الرأى ــ خاصة حين تبين أنني لم أكن الوحيد الذى كانت له خططه الخاصة •

وحين اجتمعنا •• وقف العم ليو ليشرح الموقف وهو يقول :

ــ انني أستمع كل ليلة الى صوت زوجتي وأبنائي •• يطلبون مني الاسراع في الانتقام لدمائهم التي سفكت غدرا وغيلة .. وقد وهبنا جميعا أرواحنا لنحقق هذه الأمنية ، التي لن ترتاح نفوسنا الا بعد أن نحققها ، وكيما يتسنى لنا أن نحققها بنجاح •• يجب أن ننظم انفسنا .. وأن نضـع خططنا .. تماما كالمهندس الذى يضع تصميم المنزل قبل أن يشرع في بنائه ••

والتخطيط وحده .. في مثل ظروفنا هذه .. ليس كل شيء بالنسبة لنا .. فاننا نحتاج أيضا .. الى الرجال .. عمد التنفيذ •• والى المال والمواد •• وسيلتنا لتحقيق الكثير • وبقاؤنا هنا •• كما فعلنا حتى اليوم ــ لن يحقق لنـــا أى نصر على اليابانيين • فالقتال ضدهم يأخذ أكثر من صورة •• وينفذ بأكثر من طريقة ، فأمامنا مثلا •• حرب العصابات والقتال في الغابات ــ كما فعل أخوتنا في الصين ، وأعمال النسف والتدمير كقطع خطوط المواصلات الحديدية والسلكية بنفسها وتدميرها ، وكذا تدمير المصانع والموانى

والمنشآت الحيوية وغير ذلك ، وأمامنا أيضا .. وسائل الاعلام المختلفة لنشر الأنباء الصحيحة والدعاية المضادة لنشاطهم وأعمالهم، وأمامنا غدا ذلك الكثير .. والكثير جدا .. يمكننا عمله ، مما يقلق مضاجعهم ، ويؤثر تأثيرا كبيرا على دورة القتال التى تسير حتى اليوم فى صالحهم . وأقل ما نتوقعه منهم .. ليواجهوا أعمالنا هذه . انهم سيحتجزون جزءا كبيرا من قواتهم . لتواجه نشاطنا ؛ واذا أحسنا تنظيم قواتنا .. واجدنا تدريبها .. فان ضرباتنا المتوالية .. ستذهلهم .. وتشل حركتهم .

يجب أن يبقى بعضنا هنا .. يجمع الأنباء من مصادر الاذاعة المختلفة ، ويترجمها الى لغتنا ، وينقلها الينا فى المدينة وسنتولى نشرها فى القرى والمدن .. وفى كل مكان . ولا شك أن هناك المئات .. بل الآلاف .. الذين تغلى نفوسهم حقدا .. والذين يتوقون الى الانتقام ، وسنتصل بهم .. وسندعوهم للانضمام الينا .. والعمل معنا ..

لن نستطيع قتال هؤلاء الكلاب .. وجها لوجه .. فنحن لا نملك القدرة على مثل هذه الحرب ، وعلى ذلك فسنقاتلهم بطريقتنا الخاصة .. واذا لم نستطع قتالهم فوق سطح الأرض .. فيجب أن نقاتلهم من تحت سطح الأرض .. وبهذا نرضى أرواح شهدائنا الأبرار .

سأعود يا اخوانى الى ايبواه ، وسأنظم مكانا صالحا ليكون مركزا لرئاستنا ، ندير منه أعمالنا .. وهناك سنحدد تفاصيل ما أوجزت لكم الآن ..

وحين انتهى العم ليو من حديثه وقف ونج تى وقال :

ـ اننى أؤيد ليوكام فى كل ما قال .. وبقوتنا الصغيرة التى نبدأ بها الآن .. سنبنى قواتنا الكبيرة التى سنشكلها للمقاومة الشعبية ، التى ستعمل فى كل مكان . لتوجه الضربات القاتلة الى هؤلاء الأعداء القساة القلوب .

وتوالت بعده أحاديث !

وى كيوى ، وسك كى ، وكوكاما ، وهاليسمات ، مؤيدين شارحين ما يمكن أن يؤدوه من خدمات لاعداد ق ة المقاومة الشعبية .. وللعمل فيها ، كما أن سوزى . والجنود البريطانيين الثلاثة .. ادلوا بدلوهم فى الأمر . فأشارت سوزى الى أنها تملك ثروة كبيرة آلت اليها . وانها ستضعها تحت تصرف القيادة وانها هى نفسها ستكون رهن اشارتنا فى اى عمل يمكنها أن تؤديه . وأوضح « كولو ، وواسو ، وتايبى » .. ما يمكنهم أن يؤدوه نحو تدريب المتطوعين ، لخبرتهم المكتسبة فى تكتيكات قتال حرب العصابات وأعمال النسف والتدمير وفى استخدام الأسلحة المختلفة وأعمال الاشارة والاسعاف الأولى وغير ذلك مما يتطلبه القتال الناجح .

***

وفى الصباح الباكر من اليوم الرابع عشر من شهر مارس غادرت والعم ليو وسوزى وهاليسمات .. الكهف متجهين نحو الطريق الرئيسى الذى يربط بين باتوجاه وتانجونج ، وكانت الظروف امامنا متيسرة فركبنا احد اللوريات التى تعمل على هذا الطريق .. واتجه بنا نحو ايبواه . كان رجال الشرطة مرابطين على مشارف المدن ، يقومون بتفتيش دقيق للقادمين والعائدين وكدت افقد اعصابى — مرات عديدة — وانا أشاهد أسلوبهم فى تفتيش النساء .. ولولا وجود العم ليو الى جوارى .. فليس يعلم الا الله . ماذا كان يمكن أن يحدث وكان من رأى العم ليو .. أن نتظاهر امامهم بالغباء . فهو أسلم عاقبة من الاندفاع .

وبقينا فى ايبواه مع العم ليو بضعة أيام نعاونه فى خطوته الأولى التى اعتزمها ، غادرت ايبواه وبرفقتى سوزى متجهين الى كامبار ، حيث تقيم احدى عماتها ، وكانت سوزى ترجو أن تجد لديها أنباء عن والديها !. ولما استقبلتنا العمة — وكانت

فرتدى مع باقي أفراد الأسرة ثياب الحداد ، صاحت وقد أذهلتها المفاجأة المقرونة بالفرحة ، وهى ترى ابنة أخيها ماثلة أمامها ـ وهي التى كانت تعتبرها في عداد الأموات ـ صاحت تقول :

ـ لقد طلبت من والديك الا يغادرا كامبار .. حيث كنت أراها أكثر سلامة لهما ولأطفالهما من أى مكان آخر .. ولكنهما لم يصدقاني .. كان والدك ـ كعادته دائما ـ صلبا ـ يعتز برأيه ، وها قد ذهبوا جميعا للقاء ربهم ، حتى شقيقك الأكبر وزوجته وأطفاله ..

أثارني هذا الموقف ـ أنا الغريب عنهم ، الواقف بينهم ، في هذا الجو المشحون بالألم .. والأسى ، فوقفت صامتا .. دون حراك .. حتى عادت العمة الى حديثها وتابعته قائلة :

ـ لقد ذهب عمك الى ايبواه ، ونحن ننتظر عودته بعد يومين ، وأخشى أن يغشى عليه حين يراك ، كنا جميعا قد فقدنا الأمل في عودتك ، ولم يخالجنا أى شك فى وفاتك . ماذا حدث لك يا بنيتى ، حدثيني .. فانني على شوق بالغ لسماعك .. كيف أنقذت .. وأين كنت كل هذا الوقت ؟.. لكم لفحتك الشمس !. وكستك لونا برونزيا جميلا ، حتى لتبدين فيه كفتيات الغابات !.

فبادرتها سوزى قائلة انها ستقص عليها قصتها كاملة .. وأشارت الى وهى تقول :

أرجو أولا ان اقدم لك صاحب الفضل فى وجودى على قيد الحياة حتى الآن .. الأخ الكريم .. ليو فونج ..

وبهذا الأسلوب قدر لى أن أدخل حياة أسرة فاى كوى .

***

وبوصول سوزى الى منزل عمتها ، واطمئنانى على سلامتها

ومصيرها ، كان على أن أتابع طـريقى الى سنغافورة • فغـادرت المنزل •• وقمت بجولة فى المدينة أتحرى الموقف ، واستطلع الحالة •• واتجهت الى محطة السكة الحـديدية •• وكانت تحت اشراف وادارة عناصر يابانية تشغل الوظائف الرئيسية فيها •• يعاونهم بعض الأفراد من أبناء الهند الصينية ـ منهم مساعد ناظر المحطة • وكان من حسن طالعى أن أجده هناك ، وأن أنجح فى تبادل الحديث معه ـ بعد أن كسبت ثقته وأغريته ببعض الهدايا المناسبة ـ وفى خلال هذا الحديث قال :

ـ اذن فأنت تريد التوجه الى سايونان يا صديقى •• اياك أن تقول سنغافورة بعد الآن •• حتى لا يصيبك ما أصابنى حـين انزلق لسانى أمس •• أمام ناظر المحطة ، فكان جزائى ركلة شديدة ألقتنى خارج المكتب !•• عليك بالحضور الى المحطة صباح الغـد قبل الثامنة ، وارجو الا تسأل عن موعد القيام .. أو الوصول ، فنحن الآن تحت رحمتهم •• والقطارات تسير طبقا لأهـوائهم • هل تتصور أن لسائق القطار ، وهو منهم ، أن يوقفه فى اى مكان ويترك كل من فيه ساعات •• وساعات ،ليطهى وجبة يريدها ، أو ليقابل صديقا أو ليغازل امرأة • السفر الآن بالقطار ـ يا صديقى ـ لم يعد متعة ، ونصيحتى لك ولغيرك .. الا تقدم عليه ، الا وأنت مضطر الى ركوب هذا الصعب من الأمور •

كم كان هذا الرجل صادقا •• فى كل ما قال !

***

بعد أن تناولنا وجبة العشاء فى منزل العمـة فاى ، دعتنى سوزى الى جولة صغيرة في الحديقة ، جلسنا بعدها على احـد المقاعد ، يكسونا ضوء القمر الفضى وينعش ما فينا من مشاعر •• كنت أشعر برغبتها فى أن تختلى بى قبل سفرى الموشك ، فـلم أبخل عليهـا بما تريد ••• ودار بيننا حديث بدأته سـوزى قائلة :

ـ ليو فونج .. هل تعدنى بأن تكتب الىّ بمجرد وصولك الى سنغافورة ؟ .

ـ نعم أعــدك .. يا ســوزى ، فقط فى حالة توفر الخدمة البريدية بين البلدين .

ـ كم تستغرق رحلتك الى هناك ؟.

ـ لا أدرى حقا ، حتى مساعد ناظر المحطة لا يستطيع تقدير هذا الوقت .

وهنا حولت سوزى حديثها فجأة ، وبدأت تسألنى عن ليــو لان ، كانت لبقة بارعة فى اسلوب حديثها ، وفى خــلال ســاعة واحدة ، استطاعت أن تعرف منى كل ما أرادت أن تعــرفه عن زوجتى . وقطع حديثها وصول العمة فاى وهى ترجو أن تتــابع سوزى قصتها ، وأن تخبرها بكل تفاصيلها .

وفى الصباح الباكر كنت أغادر المنزل ـ خفية ـ حتى لا ترانى ســوزى .. تجنبا للحظــات الوداع ، وكان من حسن الحظ أن وصلت الى المحطة فى موعد مناسب لقيام القطار . وقبل ظهر اليوم التاسع عشر من مارس ، كان القطار قد وصل الى سنغافورة ، بــعد رحلة أبسط ما يقال عنها .. انها شاقة مضنية ، فقــد استغرقت أكثر من خمسين ساعة .. استطعت خلالها أن ألمس مدى الدمار الذى حل بالقرى والمدن والمنشآت التى مر بها القطار .

وكانت النظرة الأولى تشير الى الحصار الشديد الذى يشمل محطة السكة الحديدية فى سنغافورة ، والاجراءات الاستثنائيــة المتخذة فيها ، وحين غادرنا القطار ، صدر الأمر لنا بالتجمــع فى صفوف طويلة .. وتعرضنا للعديد من الاستجوابات ، والتحريات .. ولم تسلم حقيبة أو أى متاع من التفتيش الدقيق ، حتى الرجال والسيدات والأطفال كان يجرى تفتيشهم تفتيشا دقيقا .. وكان الأسلوب المتبع منهم .. لا يختلف عما عرفناه عنهم .. بين ركل

.. ولطم .. واهانات من كل نوع ، واستغرقت هذه الاجراءات معي ساعات طويلة .. خرجت بعدها خارج نطاق هذا الحصار . وشعرت للمرة الأولى بالحياة تدب في أوصالي ..

وبدأت جولتي في المدينة ، وكان ما شاهدته في المحطة من اجراءات ، لا يقل عما يدور في مناطق عديدة من المدينة – في الميناء والمنشآت الهامة ، وملتقى الطرق الرئيسية .. وفي كل مكان تقريبا . وحتى أتجنب تكرار هذه الاجراءات ، كنت أسلك طرقا ملتوية طويلة .. ولكنى كنت أقف عاجزا أمام الجسور ، فلا مفر من عبورها . وكنت أحتقر نفسي وأنا أرى أبناء وطني يسجدون تحية لجنود العدو الغاصب .

كانت المدينة التي عشت فيها سنوات طويلة من عمرى – تبدو لى الآن غريبة عني . وكانت كل خطوة أخطوها تذكرني بأننا الآن تحت امرة سيد جديد مستبد .. وكانت نفسي تردد دائما .. اننا يجب الا نكون عبيده .. الأذلاء ..

الفصل العاشر

وقبل الغروب وصلت الى مسكني في حى كاتونج .. فوجدته مغلقا .. وحين كنت أدفع الباب أحاول فتحه سمعت صوتا حادا ينادي قائلا :

– ماذا تريد أيها الرجل ؟..

فلما استدرت وجدت جاري رودورو ، وحين تبين أني صديقه القديم الغائب .. أخذته الدهشة والفرحة لهذا اللقاء المفاجيء . وبعد أن تبادلنا تحية سريعة قال :

ـ لقد أغلقت باب المنزل •• وهذا أقل ما يجب على نحوكم في غيابكم ، ويؤسفني أنني لم أستطع أن أحافظ على محتوياته كاملة ، فقد مرت بنا أيام عصيبة ••

وكانت النظرة السريعة الى المنزل توضح ما عناه صديقي • فقد كان المنزل مزارا للكثيرين •• الذين نهبوا كل ثمين وغال كان فيه • ولكن حالة المنزل هذه ، أو المحافظة عليه ، لم تكن هي ما أريده من الرجل •• فقد كنت أريد منه المعلومات التي توصلني الى زوجتي وطفلي ، وقد أجابني قائلا :

ـ ما أعرفه عنهما قليل .. فحين هجرت أنا هذه المنطقة يوم ٢ فبراير كانت زوجتك تقيم بالمنزل ، وحين عدت يوم ٢٠ من نفس الشهر ، كان المنزل كما تراه الآن •• ولم تكن زوجتك فيه• كنت أدعو الله دائما أن يرعاك أنت وزوجتك وطفلك •• وكنت على يقين من عودتكم ثانية •• وها أنت قد عدت •

ـ هل عاد جيراننا الآخرون ؟••

ـ البعض فقط •• وهم لا يعلمون شيئا عن زوجتك •

فشكرته ، واندفعت أبحث عمن يعرف أخبار لي لان .. ومن أحدهم علمت القصة التي رواها لي على الوجه التالي :

ـ قام الجنود اليابانيون بالهجوم على الدور الآمنة صباح يوم ١٧ فبراير ، وأمروا كل سكانها بمغادرتها فورا دون أن يحملوا معهم أي متاع •• كنا بين مئات الأسر التي أرغمت على الخروج، وساقونا كالأغنام حتى وصلنا الى معسكر الاعتقال في الأرض الواقعة خلف المدرسة الانجليزية ، وكان قد سبقنا اليه آلاف غيرنا • كانت الحالة في معسكر الاعتقال هذا بالغة السوء •• لا يقينا شيء من الشمس نهارا •• أو البرد القارس ليلا ، وكان لتقلبات الجو هذه أثرها السريع في صحة معظم المعتقلين ،فسقطوا صرعى المرض •• والموت ، كنا لا نجد قطرة من الماء للشرب ،وكنا

الرغم على التخلص من فضلاتنا حيث نقيم ، فانتشرت الأمراض ، وضعفت مقاومتنا لها ، وكان أن حصدت هذه الأمراض أرواحا كثيرة .. كانوا يحاولون بكل الوسائل الكشف عن العناصر المعادية لهم للتخلص منها ، وجمع الشباب القوى القادر على العمل لتسخيره من اجل مجهودهم الحربى ، وكانوا ينتقون الفتيات .. وينقلونهن الى معسكراتهم .

كان لهذه الأخبــار وقع الصاعقة على نفسى ، فقــد شلت تفكيرى وكادت تذهب بعقلى . الا يحتمل أن تكون لى لان بين من ارغموا على الخروج من منازلهم فى هذا اليوم المشئوم ؟. ألا يجوز أن تكون مع طفلى .. من ضحاياهم ؟..

وانقضــت تســعة أيام وانا أناضــل بكل ما أوتيت من قوة وصبر لمعرفة أخبار زوجتى ، فقد فقدت كل أثر للدكتور زيا .. وكنت قد تركت زوجتى وطفلى فى رعايته قبل سـفرى ، وكانت أسرته تعتبره مفقودا ، وحاولت أن أتقصى اخبار خادمى فلجأت الى كل مكاتب التخديم .. دون جدوى . وفجأة التقيت بصديق طفولتى جيم هو فى أحد الطرق — وحين التقينـا ضمنى الى صــدره وهو يقول :

— يا الهى !.. اخيرا أجدك يا صديقى العزيز !.. أين كنت طوال هــذه الفترة العصيبة . لقد علمت من لى لان بسفرك لوداع والدتك ، وكنا ننتظر عودتك دائما .. لم تفقد زوجتك الأمل فى عودتك أبدا .. ولكنها لم تستطع مقاومة القلق الذى الم بها حين تاخرت عودتك .. فسقطت صريعة المرض . كنت أزورها دائما ، وكان الدكتور زيا دائما الى جوارها — أؤكد لك أنه كان أنبــل واشرف من تأتمنه لرعايتها هى وطفلها ..

وتوقف لحظات يعرض على أن أدخن معه سيجارة .. وكنت فى لهفة على الأخبار .. أكثر من الرغبة فى التــدخين ، وكانت لهفتى واضحة .. حملته على أن يتابع الحديث بسرعة .. فقال :

وفى حوالى أواخر يناير كان العدو على مشارف سنغافورة • وكانت غاراتهم الجوية على المدينة تزداد شدة •• وتطول زمنا • وكانت السلطات قد أوقفت هجرة المدنيين ـ ما عدا الأطفال والنساء وفى الرابع من فبراير كان الموقف قد أصبح سيئا للغاية ـ بعد أن أصبحت المدينة فى مدى نيران المدفعية أرضا فضلا عن الطائرات •• فقرر الدكتور زيا أن يرسل لى لان والطفل الى الهند ، وكانت له بعض العلاقات الطيبة بالمسئولين ساعدته على توفير رحلـــة معقولة لهما •• ولكن الاجراءات استغرقت بضعة أيام كانت لى لان خلالها تأمل أن تصل أنت الى سنغافورة فى أى لحظة •• وحـين فقدت الأمل •• رجتنى أن أقول لك •• انها تنتظرك ••• وكنت قد صرفت لها شيكا بعشرة آلاف دولار ، أخذت نصفها وتركت لك معى النصف الآخر لأسلمه اليك حين نلتقى •

كان من المقرر أن تبحر سفينة لى لان فى الثامن من الشهر • ولكن الميناء كان يغلق كثيرا تحت وطأة الغارات الجوية الشديدة• وفى اليوم العاشر ركبت لى لان السفينة ، وعلمت من الدكتور زيا أن السفينة أبحرت بهما • ولا أعلم ماذا حل بهما بعد ذلك •

فحاولت أن أعرف منه اسم السفينة ، أو جنسيتها ، أو أى بيانات عنها •• ولكنه كان لا يعرف ما يمكن أن يروى ظمئى •• وبذا فقدت ثانية الخيط الذى كان من الممكن أن يرشدنى اليها • وبقيت فى حيرتى تنتابنى أفكار قاتلة •• هل وصلا سالمين ؟•• هل حلت بالسفينة كارثة •• هل أصابها طوربيد ؟•• لا أحد يعلم الا الله !!••

***

كنت فى غدواتى بين المنزل وأنحاء المدينة ، أمر دائما بمنطقة طويلة ممتدة ينتشر فيها الكثير من المخازن والمستودعات ، محاطة بسياج قوى من الأسلاك الشائكة يمتد خلفه سور من الصـــاج المرتفع يحجب رؤية ما بداخله ، والجنـــود منتشرون فى أبراج

الحراسة القائمة على أبعاد متقاربة حول السياج ، وقد لفت نظرى دخول اللوريات الى المنطقة وهي محملة ٠٠ وخروجها وهي فارغة، الأمر الذى أكد لى بأنها لا بد أن تكون مستودعا للجيش اليابانى • ولم يطل بى الوقت حتى علمت أنهم يخزنون فيها قنابل متعددة الأحجام ، وذخيرة متنوعة الأشكال ، ووقودا سائلا فى مستودعات كبيرة •

وحين تأكدت لى هذه المعلومات تبادر الى ذهنى فى الحال ما يجب على عمله للانتقام للعمة هوو وابنائها وباقى صهداء المنجم الأبرار • وبالبحث تبين لى أن الطريق أمامي طويل ٠٠ وعسير ٠٠ ولكنى عزمت أن أسلكه •

***

كان واضحا أن دخولى هذا المستودع ٠٠ يكاد يكون مستحيلا ، وكان من الأوضح أن نجاحي في دخول المستودع حاملا ما يلزمنى من من مواد النسف ٠٠ أمر يعتبر من المعجزات !٠٠ فكان لا بد اذن من أن ألجأ الى الحيلة • فبدأت أراقب عمال المستودع وأدرس حركاتهم ٠٠ وسكناتهم ، ماذا يرتدون ٠٠ وكيف يتحدثون ؟٠ ما هى طباعهم وأخلاقهم وعاداتهم ! أين يقيمون ؟٠٠ وأخيرا ما هى الصفات التى يتطلبها سادتهم فيهم ٠٠ وكيف يرشحون للعمل ٠٠ ومن الذى يرشحهم ، وبالجملة ، كل الدقائق والتفاصيل التى تساعدنى وتزكينى للعمل فى الداخل ٠٠ كانت هذه خطوتى الأولى ٠٠وقد قضيت فيها أياما طويلة ، ثم كان لزاما على أن أكتسب سمرة البشرة التى تقربنى الى هذه المجموعة من العمال ، وأن تزداد قوة عضلاتى لتكون قادرة على هذا العمل ٠٠ فكان أن انقطعت أياما أخرى أقوم فيها ـ بخلف منزلى ـ بتدريبات رياضية عنيفة ، أتعرض خلالها لوهج الشمس الحارق ، فوصلت بذلك الى تحقيق خطوتى الثانية • وكان على بعد ذلك أن أعيش فى الوسط الذى يعيش فيه هؤلاء العمال ، فانتقلت الى الحي الذى يسكنون فيه ، واستأجرت حجرة بأحد المنازل ، ثم بدأت أتردد على المطاعم

والمشارب التي يترددون عليها ، وبعد أيام قليلة كنت قد اصطفيت عاملين . وطدت صلتي بهما ، بعد أن تأكدت أنني ـ عن طريقهما ـ سأصل الى من يزكيني للعمل معهم . وذاك مساء ، ونحن على مائدة الشراب ، علمت منهما ما يجب على أن أفعله . وفي صبيحة اليوم التالى ، كنت أحد ثمانية مرشحين للعمل ، وبعد اختبارات بدنية قاسية ، وتحريات دقيقة ، واستجواب عنيف ـ استغرق أكثر من أسبوع .. نجح اثنان فقط من الثمانية .. كنت أحدهما .. وبدأت العمل .. وبقدر اهتمامي بكسب رضاء رؤسائى .. كان اهتمامي بدراسة المستودع والتعرف على كل أسراره ودخائله .. وفي الأيام الأولى تملكني يأس قاتل ، فاجراءات الأمن المتخذة في المستودع .. لا تترك أي ثغرة ولو صغيرة .. أنفذ منها ، ولم يبق أمامي سوى الانتظار .. والمراقبة ..

كان اليابانيون قد كسبوا جولتهم الأولى ضد الحلفاء .. بالسرعة الخاطفة التي نفذوا بها خططهم ، وكانوا يعتقدون أن السرعة .. هي سلاحهم الذى سيتابعون به انتصاراتهم .. وعلى هذا كانت السرعة في العمل هي طابعهم وشعارهم الدائم . ومن هذا الشعار .. بدأ الطريق ينكشف أمامي .

كنت قد لاحظت وجود أربعة مستودعات كبيرة للبترول في مواقع متفرقة من المستودع .. والى جوارها آلاف من البراميل الخاصة بالوقود وهي فارغة .. والى جوار هذه المستودعات أيضا .. العديد من أكوام الذخيرة .. وكانت الحراسة عليها شديدة ويقظة .

كان العمال مقسمين الى نوبتين ، ولا يسمح لأى عامل بالدخول أو الخروج الا بعد تفتيش دقيق .. يتسم بالعنف احيانا .. كما لا يسمح لأى عامل بالدخول أو الخروج في غير أوقات تغيير النوبتين .. وكنت قد حصلت على حاجتي من مواد النسف .. ولكن كيف السبيل الى دخولها الى هذا المستودع ؟ .

وذات صباح ـ بعد أسبوعين من العمل فى المستودع ـ كان بعض العمال يصبون الوقود فى صفائح ، وكما أوضحت كانت السرعة عاملا حاسما بالنسبة اليهم ـ لا يضحى بها فى سبيل الحيلولة دون انسكاب بعض الوقود على الأرض أثناء التعبئة .. بالقرب من أكوام الذخيرة المكدسة على الأرض . اذ من ذا الذى يهتم بهذا الوقود المنسكب ؟. ومن ذا الذى يقدر خطورة هذا العمل .. اذا كانت قوات حضرة صاحب الجلالة الامبراطور على وشك الاستيلاء على أغنى موارد البترول فى العالم !!

وكان منظر هذا الوقود .. هو الذى أوحى الى بما أفعل .. وكانت الفكرة بسيطة ، أبسط ما تكون تنفيذا .. وأخطر ما تكون نتيجة . كان من المثير حقا أن جيشا كالجيش اليابانى .. بقادته وجنوده وعماله ، وبما هم عليه من كفاءة وقدرة وتنظيم ، يكونون جميعا بهذا القدر من الغباء بحيث لا يقدرون خطورة الوقود وميزة سرعة اشتعاله !.. ولكنها الأقدار ! التى تهيىء الفرصة اذا أرادت أن تلحق الضربة القاصمة .

كنت على علاقة قوية بأحد الصيادلة ، وكنت أثق فيه ثقة لا حدود لها ـ وكان متبحرا فى دراسة علوم الكيمياء . وفى جلسة هادئة بعيدة عن أسماع الفضوليين ، بحت له بسرى وبحثت معه الأمر بعناية ، فوعدنى بالبحث عن حل مناسب وطلب منى أن أمهله يومين ، ولما عدت اليه أخبرنى أنه قد توصل الى حل بسيط .. ولكنه يحتاج الى دراسة أعمق .. ثم الى تجربته عدة مرات ليتحقق من فاعليته ، وطلب منى أن أمهله أسبوعا آخر .

***

كان من عادة أهل الملايو أن يستخدموا نوعا من أغصان الشجر الرفيعة كالسواك ، يحملونه دائما فى أيديهم ، ويدلكون به اسنانهم وقت فراغهم .. أو بعد تناولهم الطعام .

وقد استغل صديقي الكيماوى هذه الظاهرة التى لن يمنعني حارس من الدخول بها ، وأعد مادته الحارقة في شكل مطابق تماما للسواك ، وكان على أن أحمله معى فى دخولى .. على أن أبقيه داخل لفافة مبللة ، تحفظ له الرطوبة اللازمة التى تحول دون اشتعاله ، وأوضح لى أن تعريضه للشمس والهواء يزيل الرطوبة عنه ويعرضه للاشتعال الذاتى قبل مضى ثلاثين دقيقة .

وفى الصباح التالى ، دخلت المستودع .. ومعى سواك فى يدى ، وآخر بين طيات ثيابى ، محاطا بمنديل حرصت على أن أغمسه مع السواك فى اناء من الماء قبل أن أحمله ، ليحفظ رطوبته أطول وقت ممكن .. وبدأت عملى وأنا أترقب الفرصة ، كنت مكلفا بنقل الذخيرة من أحد اللوريات ووضعها على الأرض .. وكان الى القرب منى يعمل آخرون فى ملء صفائح الوقود ، وفجأة ولغير ما سبب ظاهر لى شاهدت عمال الوقود يتركون عملهم هذا ويتجهون الى عمل آخر بعيد ، وبسرعة وضعت أصبعى داخل فمى ليساعدنى على القىء .. وكررت العملية عدة مرات ، ولفتت حالتى نظر المشرف على العمل الذى رأى العرق يتصبب من جبينى .. وهو يعتقد أنه من آثار المرض الذى انتابنى .. فأمرنى بترك العمل فى الحال والجلوس فى الظل للراحة قليلا .. ولكننى وقد كنت أسعى لما هو أكثر من ذلك .. تابعت وضع أصبعى فى مؤخرة فمى .. وتابعت تظاهرى بالقىء ، وحين بدا للمشرف انها حالة شديدة .. وخشى عدوى المرض الخطير المنتشر فى هذه الأيام ، أخرج من سترته دفترا صغيرا ، وحرر بضع كلمات على ورقة سلمها الى وأمرنى بالخروج خارج المستودع . وكانت فرصتى وأنا أخرج .. لأمر على الوقود المنسكب على الأرض .. ولألقى السواك أرضا وأتركه ليجف .. فيبدأ عمله المدمر .. وأكثر من ذلك .. أن أغادر المستودع .. وأبتعد عن الدمار الذى ينتظره .

وابتعدت بعيدا .. وجلست على مقهى يشرف من بعيد على المستودع .. وجلست أحسب الدقائق .. وأنتظر . وحين مضت

الدقائق الثلاثين •• بدأ القلق ينتابني ، لماذا هذا التأخير •• هل اكتشف الأمر ؟•• هل فسدت المادة وبطل مفعولها ؟•• أم كانت كمية الرطوبة أكثر من اللازم ؟•• دارت بي الدنيا وأنا أتصور الدقائق ساعات ، وحين راجعت حسابي للوقت كان قد مضى سبع وثلاثون دقيقة •• وفجأة دوى صوت انفجار عنيف ، هز أركان المنطقة وتعالت السحب القاتمة •• وتوالت الانفجارات المروعة •• وفي وسط هذا كله سمعت صوتا يناديني ويحذرني لأبتعد بعيدا •• وكنت على يقين من أن الصوت كان صوت •• لى لان !!

فغادرت المكان ، واتجهت صوب حجرتي بحي العمال وأخذت كل مقتنياتي ، وألقيتها في النهر ، وعدت الى منزلى فى كاتونج والى شخصيتي الأولى .. وبعد الحمام الساخن .. وبعد حلاقة الذقن •• اندثر كل ما يمكن أن يربطني بشخصية العامل الذى دمر المستودع !!

الفصل الحادى عشر

بقيت منطقة المستودع مغلقة على الجمهور أكثر من أسبوعين •• وحين فتحت للمرور بعد ذلك ـ ظهرت لنا بجلاء الآثار التى ترتبت على هذا الانفجار المروع • كانت المنطقة لحسن الحظ ، قد أخليت من جميع سكانها قبل الحادث ، كاجراء أرادته السلطات لتحقيق السرية المطلوبة ، ولمنع تسرب أى أنباء عما يجرى بالداخل ، ولم يبق بالمنطقة سوى عمال المستودع ، ومن شاء حظهم العاثر أن يمروا بالطرقات القريبة لحظة الانفجار ، أو يكونوا بالمحال المنتشرة حولها ، ولولا ذلك لكانت الخسائر فى الأرواح جسيمة •

وكانت جميع المبانى المحيطة بالمستودع ـ بلا استثناء ـ ولعمق لا يقل عن ٥٠٠ متر ـ قد دمرت وتناثرت أجزاؤها ••

ولما حاول أصحابها جمع ما بقي فيها - من أثاث سليم أو متاع صالح - صدم البعض منهم بوجود العديد من القنابل التي لم تنفجر .. كانت قد تناثرت في المنطقة .. وحين سقطت .. بقيت تمثل خطرا جديدا جاثما على الصدور .. فلا يجرؤ الناس على الاقتراب منها .

واستمرت الجهود في المستودع - تجرى بهمة ونشاط - طوال أسبوعين آخرين - لرفع الأنقاض المتخلفة ، ومحاولة اعادة الحياة اليه مرة ثانية .

ولم تغمض لليابانيين عين طوال هذه الأسابيع ، وهم يحاولون تقصى الحقائق التى تنير لهم الطريق .. للتوصل الى الفاعل الأثيم ، وللتعرف على شخصيته ، وشخصية من آزروه .. فانتشروا فى المدينة ، يلتقطون الهمسات ويحللون النظرات ، كان الهمس يدور فعلا بين الناس - اذ كان وسيلتهم الوحيدة للحديث - بعد أن خمدت أصواتهم تحت الضغط والارهاب .. ولكن هل استطاع اليابانيون الوصول الى شيء .. وهل كان هؤلاء السكان يعرفون .. ما يؤدى الى شيء ؟ كل ما كانوا يعرفونه .. هو ما اتصل بعلمهم - من قريب أو بعيد - فى شكل ضحايا .. أو خسائر مادية . فمن نجا منهم تحدث عن المعجزة التى أنقذته من الموت ، وحفظته وأسرته من الدمار .. ومن قتل له ابن أو شقيق أو قريب .. راح يلوم القدر الذى دفع به الى هذا المكان .. وهكذا كان بحث رجال السلطات .. يدور فى دوامة .. لا تنتهى .. ولم تنته أبدا .. الى شيء ..

وانتشرت الأنباء تقول ان أكثر من ٢٥٠ يابانيا - معظمهم من الضباط ورجال الشرطة العسكرية وكبار الموظفين ، قد قتلوا فى الحادث ، وان كل من اشترك فى مقاومة النيران .. أصيب بصورة ما - وان كل من نجا - وشاء حظه أن يكون فى المنطقة عند محاصرتها - اعتقل فى معسكر كبير أقيم خارج المدينة .

وان رجال المباحث لا يألون جهدا ولا يتركون وسـيلة لاستخلاص الحقائق منهم ••

***

وبعد أن تيسرت المواصلات البريدية بين سنغافورة وغيرها من المدن ـ وان كانت فى صورة غير منتظمة ـ كتبت أولى رسائلى الى العم ليو •• والى سـوزى ، وأخبرتهما أن لى لان قد غادرت سنغافورة قبل أيام قليلة من سقوطها ، وأن الأمور تسير حسنة معى ، واننى أبحث عن عمل مناسب ، حيث أعيش وحدى •

ويعد حوالى ثلاثة أسابيع •• تلقيت ردهما على رسالتى •• كانت رسالتهما واضحة التحفظ •• فهما يعلمان مدى نشـاط الرقابة فى هذه الأيام ، وقد اقترحت سوزى أن أعود الى كامبار •• للنظر فى امكان العمل فى أحد المناجم •• وكم كنت أود أن أغادر سنغافورة فعـلا •• ولكننى كنت لا أجرؤ على الاقـدام على مثل هذه الخطوة •• فما زال مظهرى يبدو كأحـد العمال •• بيدى الخشنتين ، وجلدى الملفوح • وكنت أشعر أن مظهرى كعامل •• لن يمكننى أبدا من ولوج محطة السكة الحديدية ، ولهذا بقيت حبيس المنزل أياما أبتعد عن أشعة الشمس ، ولا أزاول أى عمـل يدوى ، وأستحم بالصابون المعطر ، وأستخدم الكريم ليكسب يدى طراوة واضحة •

وفى الأسبوع الأول من مايو ـ نسف مستودع آخر ـ يقع على بعد أميال قليلة من الميناء ، فى منطقة بى سون ، وقد علمت أنه كان مكدسا بالذخيرة ، بين مستودعات بنيت تحت الأرض • وقد دمرت جميعها ، وقتل تحت الأنقاض أكثر من مائة وخمسـين يابانيا •• وكان هذا النبأ بالنسـبة الى •• يعنى أمرا هاما •• وهو أننا لسنا وحدنا •• وأن لنا أخوة فى السلاح •• والهـدف •• يعملون فى سكون وصمت من أجل القضاء على العدو المشترك •

***

وانقطعت خطابات سوزى فجاة فى بداية شهر يولية ، وفى أواخره ، وصلتنى رسالة عاجلة من العم ليو تقول :

« من الأهمية بمكان سرعة حضورك لتبادل الرأى فى العمل »

ومن هذه الرسالة القصيرة تنبأت بأهمية ما وراءها ، وقررت أن أسافر فى الصباح التالى الى ايبواه .. بعد أن أصبح فىمقدورى التجول فى صورة رجل أعمال ، وأبرقت للعم ليو .. محددا موعد وصولى .. تقريبا ..

وفى احدى عربات الدرجة الثالثة بالقطار .. وجدت مكانا لى ، وهى عربات .. وان لم يتوافر فيها ما يمكن أن ننشده من وسائل الراحة فى مثل هذا الجو الحار .. الا أنهـا تفوق كثيرا عربات الحيوانات التى ركبتها فى رحلتى السابقة . ولم أكد أستقر فى مكانى حتى انهالت على من نوافذ العربة .. الربطات والسلال والأقفاص المملوءة ، التى كان يدفعها الركاب حيثما كان .. قبل أن يلقوا بأنفسهم أيضا من النوافذ .

وكنت فى هذه الرحلة أسعد حالا ، مما كنت فى سابقتها اذ قطع القطار المسافة فى أقل من ثلاثين ساعة بدلا من خمس وخمسين .. وكم كانت دهشتى بالغة حين وجدت العم ليو فى انتظارى بالمحطة .. فكان لقاء حارا .. اختلطت فيه البسمات بالدموع .. وأقلقنى ما كان يبدو عليه من ضعف ووهن وهو يحاول أن يتظاهر بالقوة .. ويشير الى ويقول :

ـ جميل أن يكون المرء شابا .. وقويا .

وكنا فى الطريق الى المنزل .. نلتزم الحذر فى الحديث .. وحين وصلنا الى المنزل سألته عن الدافع لارسال رسالته هذه ، فأجابنى قائلا :

ـ الوقت أمامنا طويل يا بنى .. عليك أولا بحمام يزيل عنك آثار هذه الرحلة .. ثم بوجبة دسمة أنت فى مسيس الحاجة اليها

.. كما أن في الرقاد يا فتى .. ما يهدىء الأعصاب .. ويجدد النشاط ، وقبل كل ذلك لن تسمع منى كلمة واحدة .

والتزم العم ليو بصمته هذا .. ولم يبدأ حديثه معى ، الا بعد أن تناولنا طعام الأفطار صبيحة اليوم التالى . فبدأ يوضح الظروف التى تمر بالبلاد ، والحالة السيئة التى آل اليهـا الناس بعد أن تبخرت مواردهم المالية . فالمصانع والمناجم والمزارع .. ما نجا منها من التدمير ، لم ينج من السلب .. ومن كان يملك مالا فى مصرف ، يتعذر عليه الآن أن يصرف درهما واحدا منه بعد أن توقفت المصارف عن العمل نهائيا .. ومن كان يعمل فى وظيفة تعطل عن العمل بعد أن توقف صرف الرواتب الشهرية .. ومن كان يزاول تجارة أرهقته الضرائب الجديدة وأعجزته عن موازنة حالته المالية . وفوق كل هذا فان سيف الاحتلال مسلط على رقبة كل شخص غير متعاون .. وهو يثير الرعب فى نفوس الناس ، ويقضى على البقية الباقية فيهم .. من عزة وكرامة وروح وطنية .. وبذلك اخـذت الثروات تتسرب من أيدى أصحابها ، كالماء الذى يسيل من اناء مثقوب .. فباعوا ممتلكاتهم .. ومجوهراتهم .. وكل نفيس لديهم .. بأقل القليل .. سدادا لدين .. وانقاذا من افلاس ..

وتوقف العم ليو قليلا يجفف العرق الذى غمر وجهه ، ثم تابع حـديثه قائلا :

- والآن يا ولدى .. ننتقل الى الموضوع الأهم .. وهو سوزى .. لقد جانبها الحظ .. ولم تسعد بما تركه لها والدها من ثروة ، وكان عليها أن تدفع حوالى ٢٥٠٠ دولار كضرائب مقررة عليها .. ولم يتوافر تحت يدها مثل هذا المبلغ الكبير . لقد كان من الواجب عليها أن تكتب الى .. أو اليك .. شارحة هذا الموقف ، ولكنها لم تفعل .. وبقيت تحت رحمة عمها فاى كو ..

وحين سمعت هذا الاسم .. ثار دمى .. فأنا اعلم من هو فاى

كو هذا !• وكيف ألقى بنفسه تحت أقدام الحكام المستعمرين ••
وعرض خــدماته عليهم ، ووثق صلته بمن يدعى ميشياكو رئيس المباحث العسكرية فى كامبار ، وبهذا أصبح يرتكز على ســاعد قوى •• مكنه من التدخل فى كل أمور المــدينة ، وفرض ارادته على أصحاب الأعمال فيها ، يشاركهم أرباحهم ، وينهب ثرواتهم •
لقد كان نكرة قبل الحرب •• وأصبح فى شهور قليلة من أكبر الأثرياء •

وتابع العم ليو حديثه قائلا :

ـ لقد لجأت سوزى الى فاى كو ـ وهو زوج عمتها ـ لتطلب منه العون فى هذا الموقف العصيب •• ولكنه تقاعس وامتنع •• وهو يدعى أن والدها سلب أمواله .. مذ كان صـغيرا •• وأنه سينتقم من والدها فى شخصها ، ثم أخذ يتابع الضغط عليهــا وارهاقها ، مستغــلا نفوذه لدى السلطات ـ التى أخذت تواليها بالانذار تلو الانذار ـ ثم تقدم اليها عارضا أن تتنازل له عما آل اليها من والديها فرفضت .. ولكنه لم يتراجع .. بل أخذ يتابع الضغط عليها بكل الوسائل •• ثم تقدم مرة ثانية يعرض عليها قرضا منه لتسوية المطلوب منها ، بضمان ممتلكاتها • وحين لم تجد أمامها طريقا آخر تسلكه •• قبلت هذا العرض مرغمة •• وحين قدمت اليها وثائق الرهن للتوقيع عليها كانت كلها باللغةاليابانية التى لا تعرف منها حرفا واحدا •• ومع ذلك وقعت عليها •• وهى لا تدرى أنها توقع اقرار عبوديتها •• بعد أن أصبحت تحت رحمته •

وقام فاى كو بعد ذلك باعداد منزل والد سوزىليكون منتدى للضباط يقضــون فيه ليــاليهم الحمراء •• وبدأ يبحث لهم عن الفتيات ، وحتى يقوى ما بينه وبين ميشياكو من روابط ، وليضمن رضاء سيده عليه ، دعاه الى حفل خاص أقامه له فى منزله ، وحمل سوزى على أن تستضيفه هى •• بدلا من زوجته ـ ربة البيت ـ أو احدى فتياته هو • وحين قابلها ميشياكو هذا ـــ اعجب بها •

ثم توالت زياراته للمنزل .. وبمرور الأيام تعلق بالفتاة .. وجن بها ، وأخذ يمطرها بالهدايا والمجوهرات ، وكلما حاولت أن تبعده عنها .. كلما ازداد تعلقه بها .. وكان فاى كو يستغل هذا الموقف أحسن استغلال .. بكل ما يدعم مركزه ويقوى نفوذه ، وينمى ثروته .. حتى أصبح مجرد ذكر اسمه .. فى أى وسط أو مجتمع ، يثير الرعب والهلع فى النفوس . وكانت سوزى تقاوم قدر جهدها - تمادى ميشياكو .. وتعضيد فاى كو له .. وهى تقاسى الأمرين بينهما ..

ومنذ حوالى أسبوعين ، أقبل ميشياكو يحمل خاتما مرصعا بالماس . وقدمه هدية منه لسوزى ، فلما امتنعت عن قبوله ثارت ثائرته وعلا صوته ، فأسرع فاى كو يقدم له زجاجة من الخمر الفرنسى المعتق .. ويدعوه الى كأس حتى ينهى حديثا قصيرا بينه وبين سوزى .. وحين أفرط فى الشراب كعادته نسى نفسه ، ونسى الخاتم .. وتناسى سوزى ... وقبل أن يقضى على ما تبقى فى زجاجة الخمر ، هب على رنين جرس التليفون ، وتبين أن قائده يدعوه فورا لتلقى تعليمات سرية عاجلة ..

ثم تبين بعد ذلك أنه كلف بقيادة وحدات صغيرة من الشرطة العسكرية التى تجمعت تحت قيادته لمطاردة جماعة من الصينيين هاجموا دورية يابانية قرب كامبار وقتلوا أفرادها ، وكان من المقدر أن تستمر هذه المطاردة أياما .. قد تطول الى أسبوعين .. ولكنه عاد اليهم بعد يومين ، مدعيا أنه حضر لمهمة رسمية ، ولكنه فى الحقيقة كان على شبوق للحظات يقضيها بالقرب من سوزى .. وقبل أن يغادرهم .. أمر فاى كو بالاستعداد لحفل زواجه من سوزى لمجرد عودته ثانية .

ولم تستطع الفتاة صبرا بعد ذلك .. وهى ترى ما ينتظرها حين يعود هذا الوحش ، وقد استطاعت أن تتغلب على ضعفها ، وأن تركز أفكارها وجهدها لتتصل بالعم ليو .. فى ايبواه ، كما استطاعت بعد جهد أن تقنع عمتها بالسفر معها الى ايبواه ،

بحجة شراء ثياب العرس التى يشتهر صناع ايبواه باعدادها ‥ وكانت عمتها أيضا تريد أن تقوم ببعض المشتريات ‥ ووجد فاى كو ‥ فيما طلبته سوزى ‥ تحولا يبشر بالخير ‥ فلم يعترض على سفرهما ‥

وفى ايبواه استطاعت سوزى أن تتصل بالعم ليو ‥ وأن تطلب منه أن يعجل باستدعائى وهى تقول :

ـ لقد أنقذ ليو فونج حياتى ‥ ولابد أن أتدارس معه موقفى الآن ‥!

***

وبعد أن استمعت الى قصة العم ليو هذه سألته قائلا :

ـ هل أوضحت سوزى ما تنوى عمله مستقبلا ؟‥

ـ تريد أن تنضم الى ونج‌تى والآخرين ‥ هكذا قالت ‥ ولكنها تطلب أولا أن تعزز ـ أنت ـ هذا الرأى ‥

ـ لماذا لم تكتب لى موضحة كل هذا الذى أصابها ‥؟

ـ لقد منعها فاى كو من الكتابة اليك ‥ وحجب عنها رسائلك الأخيرة ‥

كان فى هذا الرد ما أوضح لى بجلاء سبب توقف رسائلها الى فى الفترة الأخيرة ‥ وكنت أشعر وقتئذ فى قرارة نفسى أن توقفها هذا ‥ لا بد أن يكون تحت تأثير دافع قوى ‥ وها قد اتضح لى الآن بجلاء الخطر الذى يحيط بها ‥ والذى يحتم على أن أكون الى جوارها ‥ لأعمل على انقاذها ‥

وتنبهت الى نفسى والعم ليو يربت بيده على ساعدى ‥ فقلت :

ـ والآن .. ما هى خططك .. أيها العم ليو ؟. متى .. وأين .. وكيف .. أقابل سوزى ؟.

ـ ستنقلك عربة يقودها أحد رجالنا الى حيث تقيم سوزى فى كامبار ، وستصل بك هناك حوالى الساعة السادسة بعد الظهر ، وستتظاهر بأنك عابر فى مهمة خاصة .. وقد رتبنا ابعاد فاى كو عن المنزل هذه الليلة .. وسفره الى ايبواه ، بحيث لايعود قبل يومين ، وستدعوك زوجته لقضاء الليلة معهم . وبمجرد أن يحل الظلام على المدينة .. تنسحب أنت وسوزى فى سكون الى الحديقة دون أن يراكما أحد .. وستجد احدى عرباتنا فى انتظاركم على مسافة قريبة خلف المنزل ، وستعود بكما العربة الى هنا .. فى الحال . أما الخطوة التالية بعد ذلك .. فاتركها للظروف .

تملكنى بعد ذلك شعور غامض مملوء بالقلق والاضطراب .. لم أدر دافعه .. ولم يخفف من وطأته سوى شعورى الجارف بحاجتى الى سوزى .. وشوقى الى لقائها ..

الفصل الثانى عشر

وعند وصولى الى منزل فاى كو ، وجدت سيارة فخمة واقفة تحت ظل شجرة كبيرة ، وتوقعت أن تكون لابن الشيطان ميشياكو وأن يكون هو فى المنزل . ولم أدر حتى هذه اللحظة لماذا اتجه تفكيرى الى العربة .. والى هذا الوحش !. والى الربط بينهما بهذه الصورة !. انه لمن المدهش أن يندفع المرء الى النتائج مباشرة .. بالغريزة .. بدلا من تحليل الأسباب والظواهر أولا ، وانه من المثير أيضا .. أن تكون مثل هذه النتائج دائما .. صحيحة ..!

وحين قرعت الباب الخارجي أدهشتني الاستجابة السريعة في فتح البـاب ، وظهور العمة فاي كو خلفه في حالة من الرعب والذعر أثارت شكوكي .. وما ان رأتني حتى صاحت قائلة : (وهي تظنني فاي كو) .

ـ فاي .. لماذا تأخرت هكذا ؟.. خشيت أن ..

ثم فجأة توقفت عن اتمام الحديث .. وهي تنظر الى بدهشة .. وغباء .. ثم اخذت في البكاء والنحيب وهي تقول :

ـ لا جدوى مني .. والموت أهون على .. كم أنا عمياء .. أنا كفيفة أيها الفتى .. لا أرى ما أمامي .. لقد كنت أعتقد أنك فاي .. زوجي .. من أنت أيها الفتى ..؟

ثم فجأة ايضا تذكرت من أكون .. بعد ان أفاقت الى نفسها قليلا ، واطمأنت الى وجودي ، وتأكدت أنني سأعاونها في القضاء على الكابوس الذي يفزعها ، ويقض مضجعها . ثم تابعت حديثها بصوت مضطرب مخنوق .. وهي تقول :

ـ نعم أيها السيد .. ما اسمك يا سيدي ؟.. لعنة الله على ذاكرتي هذه ..

ثم أغلقت الباب خلفي وهي تقول :

ـ لا بأس ياسيدي .. لقد وصلت في اللحظة الحاسمة .. ولا يمكن أن ترسل السماء ملاكا أكثر رحمة منك في هذا الوقت العصيب .. ان آه وان (أي سوزي) في غرفتها بالدور العلوي .. انه مخمور .. مخمور جدا .. ويبدو كمن فقد عقله .. انه يريدها .. وهي تقاومه .. والله وحده يعلم ماذا سيفعل بها !.. أو ماذا فعل !.. لست أدرى .. أسرع يا بني .. أسرع .. أنقذها ..

واندفعت أمامي مذعورة ترتعد .. ثم أشارت الى السلم .. والى حجرة سوزي وهي تقول :



ـ أسرع بالله .. هناك .. فوق ..

وفى هذه اللحظة علا صوت سوزى تطلب الرحمة .. والنجدة .. وعلا أيضا صوت الوحش الهائج الثائر .. يهدد .. ويتوعد .. ويغطى كل هذه الأصوات صوت تحطيم قطع الأثاث .. وهو يقذفها فى أنحاء الحجرة ، وصرخت فاى كو تقول:

ـ أسرع يا بنى .. انقذها .. انقذها من هذا الشيطان .

ثم سقطت على الأرض خائرة ـ واندفعت أقفز درجات السلم قفزا ، كان باب الغرفة مغلقا ، ولما فحصته وجدت أنه لم يغلقه بالمفتاح ، وأنه اكتفى بقطعة من الأثاث وضعها خلفه ، فدفعت الباب بقوة .. فانفتح أمامى .. وأسرعت بدخول الحجرة .. فواجهت ميشياكو ..

كان واقفا أمام الفراش •• وسوزى تقف أمامه فى الجانب الآخر منه ، وكان يستعـــد ليقفز نحوها •• من فوق الفراش ، وكانت هى تتـــأهب له ، لتتجنب الوقوع بين يدية •• وحـين شاهدتنى صاحت تقول :

ـ ليو فونج !.

وحين اطمأنت الى وجودى بقربها •• بدأت تستعيد ثقتهـــا فى نفسها ، وتتمالك رشدها ••

لا ادرى كم طال هذا الصراع بينهما !. ولـكن الحـالة التى كانت عليها الغرفة كانت تشير بوضوح الى مدى هـــذه المقاومة العنيفة •• فالكراسى ممزقة ومحطمة •• والفراش بعيد عن موضعه •• وآثار أقدام ميتشياكو الموحلة على الغطاء والوسائد ـ ثم هذا الرعب الذى كان يملأ عينى سوزى من لحظات •• ثم هذه الثورة وهذا الغضب اللذان كانا يملآن نفس هذا اليابانى •• لا يمـكن أن يكون كل ذلك وليد لحظات قصيرة •

وحين اعترضت طريقه وهو بهذه الصورة ـ وكان شبه عار ، لا يعلو جسده سوى قميص خفيف ، وان بقي مرتديا حذاءه الطويل ـ كمظهر اعتقد أنه يحفظ له هيبته ـ نظر نحوى بغيظ وحقـــد وهو لا يتصور أن هناك من يجرؤ على الوقوف أمامه ، ليحرمه من هذا الصيد الجميل ، وترك الفتاة جانبا ، وبدأ يستعد لمواجهتى •• وفى نفس اللحظة كنت أنا أيضا أراقبه بحذر وعناية، وأنا آخذ أهبتى لمواجهته • كان ربعا ، قوى البنيان ، يبدو وجهه كوجه ثور هائج ، عيناه تقدحان وهجـا وشررا ، وتبـدو من بين شـــفتيه أســـنان بارزة مخضبه بآثار الطباق ، وتفوح منها على بعـــد رائحة الخمر •

فى هذه اللحظات القصيرة تدارس كل منا الآخر •• بعناية •• وفجأة تنبهت الى شيء ملقى على الأرض • حين اتجـه نظره اليه بسرعة ، وحين اندفع نحو طبنجته الملقاة على الأرض على بعد

أقدام قليلة من حيث يقف ، اندفعت انا أسبقه وأقذف بها بعيـدا بقدمي قبل أن تصل يداه اليها ·· وفي هذه الحركة ·· اصطدمنا ببعض للمرة الأولى ، وبدأ الصراع العنيف بيننا ·· وكان واضحا أن أحدنا ·· يجب أن يقتل الآخر ·· ان لم ينته هـذا الصراع بالقضاء على كلينا ·· معا ·· !

كنت ألاحظ ما يرتسم على وجه سوزى من رعب ، وكنت أستمد القوة من نظراتها ·· ومن شعورى بواجبى نحـوها ، كم وددت لو انها أسرعت مبتعدة عن هذا المكان ·· وعن الخطر الذى يحيط بها ·· وعما يمكن أن يحدث لها ·· ! وفى دوامة الفـكر هذه التى أحاطت بى ، شعرت بأصابع ميشياكو تحيط بعنقى ·· وتعصره ، ولكنه لم يكن وحده الذى يجيـد المصارعة اليابانية ، فسرعان ما تخلصت من قبضته واستدرت نحوه ووجهت اليـه قبضة قوية طرحته أرضا ، وحين نهض ، صرخ وهو يندفع نحوى ·· ولما تجنبته اصطدم بالحـائط ، فقفزت فوقه وأنا أطوق عنقه بيدى القويتين · وكان يقاوم بقوة وعنف ·· وهو يزمجر كالوحش المجروح · فأخذت أنادى سوزى وأشير اليها أن تهرب ··· وكان فى الحـاحى عليها ما مكن ميشياكو من التخلص من قبضتى ، وعندما استدار تمكن منى بحركة مفاجئة والقانى بعيـدا ·· وفى هذه اللحظة لمحت سوزى تنفلت خارجة ·· فاطمأننت ··

واحتدم القتال طويـلا ، وكنت أستجمع أعصابى دائما ·· بينما تتضاعف ثورة خصمى ·· فيفقد الكثير من صبره وأعصابه ·· وكان يحاول دائما أن يصل الى سلاحه ·· وكنت دائما أبعده بعيدا · لقد أردت فى بادىء الأمر أن يكون قتالنا يدا ·· بيد ، ولما طال الصراع وبان الغدر واضحا ، سعيت أنا أيضا الى السلاح ·· وفى لحظة كان قد اقترب من طبنجته ·· وكان واضحا أنه سينجح هذه المرة ·· حين لمحت سيفه فجأة ·· فأسرعت التقطه بحركة خاطفة ، وسرعان ما سحبته من غمده ·· وفى لحظات ·· كان نصل السيف ·· بكامله ·· يخترق صـدر ميشياكو ··

لقد كان على أن أقتله •• أو أن أتركه يقتلنى • لم يكن أمامى أى حل آخر !•• ولم يكن لى الخيار فيما أفعل !•• ففعلت ما رأيته صوابا •• وكان عين الصواب ••• !!

كانت ثيابى قد تخضبت بدمه •• وأنا أندفع خارج الغرفة أدعو سوزى •• وأقول :

ـ اقفلى الباب الخارجي ، وامنعى دخول أى فرد •• كائنا من كان .. حتى عمك ، واقطعى سلك التليفون . أصدرى تعليماتك المشددة للخدم ، ونبهى عمتك .. وحذريها ... ثم اسرعى الى بملابس نظيفة مما يملكه عمك ••

وبعد لحظات كانت سوزى تصعد درجات السلم ، وحين شاهدتنى بملابسى المخضبة بالدماء •• صرخت وهى تحاول أن تطمئن على ، ولما أوضحت لها نتيجة القتال ، رجوتها أن تسرع باحضار الملابس ، وحين عادت بها منعتها من دخول حجرتها ورجوتها أن تنتظرنى فى حجرة الطعام ، وأنا أؤكد لها ضرورة مغادرة هذا المنزل •• وفى الحال ••

وفى الحمام المجاور •• ازلت كل آثار المعركة •• وقبل أن أرتدى الثياب النظيفة •• تنبهت الى ما أصابنى من جراح •• ولكننى لم أحاول تضميدها خشية أن أضيع وقتا •• كنت أراه ثمينا للغاية • وقبل أن أغادر الحجرة لمحت حقيبة ميشياكو ملقاة على الأرض . وانحنيت ألتقطها وأنا أتخيل ما فيها من وثائق رسمية سرية •• حين سمعت هاتفا من الأعماق ينادينى •• « اتركها فى مكانها •• وأسرع •• ابتعد بعيدا » •• وكنت على يقين من أن الصوت ، كان صوت « لى لان » ، فاندفعت خارج الحجرة وأغلقتها خلفى •• وفى حجرة الطعام وجدت سوزى •• والعمة فاى وخادمتها •• والرعب يملؤهن ، فاتجهت نحو العمة أسألها عن زوجها فأجابت بأنه غادرهم الى ايبواه بعد أن استدعى فجأة لعمل عاجل ، وأنها لا تدرى متى سيعود ! •• ولما سألتها

عن أطفالها اجابت بأنهم يختبئون فى المخزن بعد أن شـاهدوا ما كان بين سوزى وميشياكو من صراع .

وبدر الى ذهنى خاطر سريع ، رأيت فيه حلا للموقف ، فأخذت فى تنفيذه فى الحال ، وتوجهت الى العمة بالحديث قائلا :

ـ استمعى الى أيتها العمة فاى .. وامتنعى عن هذا البـكاء والعويل ، لتركزى انتبـاهك لكل كلمة أقولهـا .. سأقيدكم بالحبال ، وأكمم أفواهكم جميعا .. وسأغلق عليكم باب المخزن مع الأطفال .. وستبقون هنـاك بعض الوقت .. اذ أن البوليس سوف يبحث .. وسيكتشف محل وجودكم .. وحينئذ تعلنون أن بعض اللصوص قد اقتحموا المنزل .. وقيدوكم .. والقوا بكم فى هذا المكان .. وان هذا الشيء حدث منذ عدة ساعات .. وانكم كنتم فى حالة من الرعب والخوف .. فلم تتمكنوا من مشـاهدة وجوههم بجلاء لا سيما وأنهم كانوا ملثمين .. سيستجوبونكم .. فيقول بعضكم أن اللصـوص كانوا أربعة .. والبعض يقول انهم كانوا خمسة .. أو ستة .. وانهم كانوا ملثمين .. يحملون خناجر بأيد خشبية طويلة ! .. وحين يسألونكم عن آه وان (سوزى) فالجواب .. أنهم قيدوها معكم .. ولكنهم لم يضعوها فى المخزن معكم .. ولا تعرفون ما حل بهـا بعـد ذلك ! سيسـألونكم عن اليابانى .. وحينئذ تظهرون الدهشة وتعلنون أنكم لم تشاهدوه يدخل .. ولا تعرفون متى حضر الى المنزل ، وأنه يحتمل أن يكون قد وصل بعد أن سطا اللصوص عليكم .. وأنكم لا تعرفون متى رحل .. أو ماذا فعل .. يمكنكم أن تقولوا انكم سمعتم جلبـة فى حجرات النوم بالدور الثانى .. وانكم اعتقدتم أن اللصوص ينهبون ما فيها .. هل هذا واضح .. ركزوا أذهانكم تماما .. ولا تقولوا اى شيء آخر .. وهذا أمر بالغ الاهمية . تذكروا جيداً .. أنكم لم ترونى هـذه الليلة .. لم ترونى الليلة بالمنزل .. وأننى لم أحضر هنا منذ شهور ـ وتأكـدوا أن بكاءكم ونحيبكم

واسترحامكم لهم ، لن يحقق لكم أى سلامة •• فافعلوا كل ما قلنا لكم •• وحافظوا على صمتكم .

وحين أنهيت مهمتى معهم •• غادرت المنزل ومعى سوزى بعد أن أطفأنا أنوار المنزل كله •• حتى لا يحدث ما يثير الشبهات •• وحين تأكدنا من خلو الطريق اندفعنا نغادر باب الحديقة الخلفى •• حيث كانت العربة فى انتظارنا .

وفى الطريق كنت أفكر فيما مر بى من أحداث •• ومتى يكتشف الحادث ؟ •• وماذا ستفعل السلطات ؟ •• هل ستحافظ مدام فاى على السر ؟ •• وهل سليجأ رجال الشرطة والمباحث الى وسائل العنف والاكراه معها ومع أطفالها حتى ينتزعوا الحقيقة من أفواههم •• ؟ هل من الأفضل أن نتابع رحلتنا الى تانجونج بدلا من قضاء الليل فى ايبواه •• وهل نتابع رحلتنا فى نفس هذه العربة ! •• وفى هذه اللحظة تنبهت الى أمر هام فصحت فى السائق أقول !

ـ يجب أن نغير أرقام السيارة بعد وصولنا الى ايبواه ••
فأجاب :

ـ لقد غيرناها مرة •• وسنغيرها مرة ثانية •• وأكثر من ذلك سنغير لون العربة نفسها •• والعم ليو لا تفوته أبدا •• مثل هذه الدقائق •• وهو دائما على استعداد لمواجهة الطوارىء •• وما تحمل بين طياتها !!

وللمرة الأولى بعد هذا الحديث شعرت بسوزى تلتصق بى ، وهى جالسة الى جوارى ـ ثم وهى تميل برأسها فوق صدرى وتقول :

ـ كيف أشكرك يا ليو •• وكيف أرد لك دينك •• ؟!
فشعرت فجأة بالرغبة فى أن آخذها بين يدى •• ولكننا كنا قد وصلنا الى المدينة •• وكانت أضواء المحال والمنازل والطرقات •• تضىء وجوهنا ••

الفصل الثالث عشر

انتشر نبأ اغتيال ميشياكو بسرعة مذهلة ، واهتمت سلطات الأمن بالتحقيق والبحث عن الجاني أو الجناة ، وسلكوا فى سبيل هذه الغاية كل مسلك عرف عنهم ، فاعتقلوا المئات من الأبرياء ، وانتشروا فى كل مـكان وراء أى خيط •• ولو كان واهيـــا •• يتلقفون أى خطأ قد يرتكبه البعض ، ممن يكونون فى لهفة للتعرف على أنباء الحادث •• أو مدفوعين بعامل الاثارة الذى يحيط به من جميع نواحيه •

كانت سلطات الاحتلال قـــد جندت بعض العناصر الضعيفة التى لم تستطع مقاومة عوامل الاغراء ، التى كان منها ـ فضـــلا عن الامتيازات المادية المختلفة ـ ارغام باقى المواطنين على تحيتهم ـ عند المرور عليهم فى الحراسات التى يقومون بها ، بانحناءة كبيرة، اسوة بما يتبعونه نحو السادة جنود جلالة الامبراطور • وويل لمن يعترض •• أو يخالف •• أو يسهو عنهم •• فلن يسلم من الضرب والركل •• والسلب •• وويل لها ان كانت فتاة ••

وقـــد رأى العم ليو ألا نجـــازف بالخروج والتوجه الى حيث يقيم وونج‌تى •• ورفاقه ، حتى لا نمر على الحراسات والبوابات التى أقاموها فى كل مكان •• وحتى لا يتعرفوا على سوزى بعـد أن نشروا صورتها وبينوا أوصافها وحددوا مكافأة قدرها ٥٠٠ دولار لمن يقبض عليها •• أو يرشد عنها ، واقترح العم ليو أن أبقى معه فى ايبواه لمساعدته فى أعمال الاعلام والدعاية التى تقوم بها المنظمة السرية لمقاومة اليابانيين (م • س • ى) التى يرأسها • وكانت هذه المنظمة قد اتخذت طابعا جديا جديدا ، ونجح وونج‌تى فى تمويلها وتنمية مواردها •• بالتبرعات التى أخـــذت تنهال

عليها ، بالاضافة الى ثروة كوان لو التى عثروا عليها مخبأةفى المنجم .. والتى كانت النواة التى قام عليها نشـــاط المنظمة فى بادىء الأمر .

وامتد نشاط المنظمة للعمل فى عدة مجالات أخرى .. فأعدت فرقا خاصة من عمال التحطيب الذين يعملون فى الغابات .. يتابع افرادها خطوات القوات اليابانية .. فينقلون انباءها ويقضـون على من يقع منها بين أيديهم ، كما شكلت المنظمة مجموعات من عمال المناجم .. يتولون أعمال النسف والتدمير لشل كل خطوة جديدة يقدم عليها عملاء العدو لاعادة تشغيل اى منجم لأغراض المجهود الحربى . فكانوا يخلطون الزيت بالرمال الناعمة ، ويضعون الأسمنت بين أجزاءالمحركات أو يمزجون الوقودبالملح .. وهكذا ، كما كانوا يكلفون بتدمير الجســور والقناطر والسكك الحـديدية والمنشآت الحيوية التى يتطلب الأمر نسفها . وامتدت نفوذ المنظمة داخل الدواوين والهيئات والمصالح .. فتطوع الكثير من موظفيها وعمالها للعمل فى المنظمة أو لنقـــل الأنبـــاء اليها .. ونشط هاليسمات فى تقصى انباء رجال الشـرطة ومتابعة تحركاتهم ـ وهو من العاملين معهم ـ كما كان من أبرز الساهرين على توزيع نشرات الدعاية التى تعدها المنظمة .. وكان آه بين ينقل اليـنـــا الأنباء التى تذيعها محطات الاذاعة المختلفة ، وكان لى كوى يتولى اعـداد النشرات وطبعها على ماكينة جستتنر قـــديمة استطعنا الحصول عليها .. وكانت هذه النشرات تسبب الأرق والدوار للمسئولين من رجال الحكم ..

ومضى العم ليو يوضح لنا مدى ما حققوه من نجاح فى الأشهر القليلة الماضية .. مما لا استطيع هنا سوى الاشارة اليه اجمالا .. ثم ختم حديثه قائلا :

ـ وهكذا ترون يا أبنائى .. اننا بدأنا بداية طيبة .. وطالما كانت خططنا تسير سيرا حثيثا .. وكلما وصلنى تقرير عن عمل ناجح تم انجازه .. فاننى أشعر بالسعادة تغمرنى .. حـين أرى الرجال ينجزون وعدهم .. لشهدائنا الأبرار .

وبعد وقفة قصيرة .. استغرق فيها العم ليو فى تفكير عميق .. تابع حديثه قائلا :

ـ ستأتى نهايتى قريبا .. وأنا أشعر بهذا .. وكلى ايمان واطمئنان .. وحين يأتى هذا اليوم .. سألتقى بزوجتى وابنائى .. وأنا قرير العين .

وأثارت هذه الكلمات كوامن الشجن فى نفس سوزى فهمست فى أذنى تقول :

ـ يجب أن نلازم العم ليو .. حتى النهاية ..

***

وعملت خلال الأشهر القليلة التالية ـ فى خدمة المنظمة بعزم وقوة ونشاط .. وتركز جهدى بصفة خاصة فى اعداد النشرات وطبعها وتوزيعها .. وقد كانت المشكلة الرئيسية التى تواجهنا دائما هى تدبير الورق اللازم .. وكنا نواجه صعابا جمة فى سبيل الحصول عليه .. ولكننا لم نتوقف أبدا .

وكان لنا اسلوبنا الشائق فى نشر أنباء محطات الاذاعة ، والتعليق عليها ، وكان الأهالى يتلقون هذه النشرات بلهفة وترقب .. اذ كانت السلطات تحرم حيازة أجهزة الراديو ، وتفرض عقوبات صارمة على من يقتنونها .

وفى نفس الوقت كنت أركز اهتمامى أيضا على اخواننا المقيمين فى الكهف .. حيث يتتبعون نشرات الأخبار من جهاز راديو .. وكنت أوفر لهم طلباتهم وأعد لهم احتياجاتهم .. ولا أشعرهم أننا فى المدينة ـ بعيدون عنهم ، لا نفكر فيهم ..

وذات يوم من أيام شهر سبتمبر .. قدم ونجتى لزيارة العم ليو .. وكنت لم التق به منذ أكثر من ستة شهور ، فكانت فرحتى بلقائه لا تقدر .. وحين اجتمعنا .. حول مائدة الطعام .. بدأ الحديث فى الموضوع الذى قدم من أجله بلا مقدمات .. فأخذ

يوجه النظر الى الاجراءات التعسفية التى تتخذها قوات الاحتلال ضد المزارعين ، لترغمهم على الهروب والابتعاد عن مزارعهم .. ويحذرنا من النتائج التى ستترتب على هذا .. اذ بعد أن يهجر المزارعون الأرض .. لن نجد الأرز ولا الغلال أو الخضر .. التى نحتاج اليها ، وسنقع تحت رحمة قوات الاحتلال .. نستجدى منها قوتنا وطعامنا ..

ودار الحديث طويلا .. حول ما يمكن أن نتخذه من اجراءات مضادة ، وتطرق الحديث الى روح الشعب وطبيعته ، ومدى تجاوبه معنا .. أو تعاون البعض مع العـــدو ــ وللخبرة التى اكتسبها ونجتى من رحلاته الكثيرة التى يقوم بها دائما ، فقد بدأ الحديث فى هذا الموضوع قائلا :

ــ لسنا وحدنا الذين نعمل فى سكون وصمت لمقاومة قوات الاحتلال .. فهناك آلاف غيرنا .. فقدوا أعزاء وأحبابا .. فجمعت الكارثة بينهم .. وأقسموا ــ مثلنا ــ على الانتقام .. وأنا أعرف بعض المنظمات التى شكلت لتعمل ضد المجهود اليابانى الحربى ، ولتقض مضـــاجع الفاصـــبين وقد اشـــتبكت معهم مرات عديدة فى قتال مرير .. ونجحت مرارا فى تدمير مستودعاتهم ومخازنهم .. وهكذا ترون أن الجهود المبذولة لمقاومة القوات اليابانية .. كثيرة ، ولكن المؤسف أن كلا منها يعمل فى اتجاه مختلف عن الآخر .. وبذا أصبح الجهد مشتتا .. وكان من الممكن لو اتحد .. أن تكون ضرباته أشد قوة .. وأكثر عنفا ، وواضح أننا .. ما دمنا لا نسعى الا للانتقام .. وللانتقام وحده .. فلن نصل الى شىء كثـــــير .. !

وتدخلت سوزى تطلب أن توضـــح وجهة نظرها .. وبدأت حديثها بسؤال وجهته الينا .. قائلة :

ــ لماذا نقاتل قوات الاحتلال .. ؟

ثم تابعت حديثها قائلة ..

ـ هل نحن نسعى وراء هدف واحد .. هو مجرد الانتقام لشهدائنا فقط .. ؟ أعتقد أننا نقاتل لتحقيق أهداف أبعد من هذا .. اننا نقاتل لنستعيد حقا فى حياة شريفة فقدناها .. حين فقدنا حريتنا ! ها نحن نختبىء فى هذا المنزل منذ شهور .. كالحيوانات التى تعيش فى الحدائق داخل أقفاص مغلقة ـ لقد كنا نعيش فى اطمئنان وهدوء .. لانشعر بالخوف .. حين كانت تحكمنا قوانين عادلة . كان كل فرد منا يشعر بالسلامة والأمن فى كل مكان .. ، كانت ظروف المعيشة سهلة ميسورة .. وكانت الأخلاق قويمة . كان كل فرد منا يعيش سعيدا بحياته ، حين كان الحب .. والطاعة .. والولاء .. عنوان كل أسرة .

كنا نشعر بما يختلج فى نفس سوزى فى هذه اللحظات .. وكنا نشفق عليها من أن تتابع حديثها الذى استطردت فيه وهى تقول :

ـ إننا نرى الآن كيف تسير الأمور فى اتجاه معكوس .. بعد أن فقدنا حريتنا .. وحرمنا حقنا فى الحياة وفى التعبير عن رأينا .. حتى الصحف أصبحت لا تنطق الا بالأكاذيب .. وعلاقاتنا ببعض .. أصبح يشوبها الشك والحذر ؛ ان علينا اذن أن نطهر أنفسنا أولا .. وأن نعيد بناء مجتمعنا الخلقى .. وأن نجاهد فى هذا السبيل .. بنفس القدر الذى نقاوم به قوات العدو المحتل .

وحين انهت سوزى حديثها ، سادنا صمت طويل وكانت أنظارنا كلنا مركزة عليها .. وكنا جميعا مأخوذين بصراحتها وقوة اقناعها . ثم علق العم ليو على حديثها مؤيدا .. ومشجعا ، وتلاه ونجتى وهو يقول :

ـ كم كنت أود أن تكونى رجلا ـ أيتها الفتاة ـ فلا شك انك على حق .. فى كل ما نطقت به . فعلا .. يجب أن تكون جهودنا بناءة .. بقدر ما هى مدمرة .. نبنى لأنفسنا ، وندمر عدونا . أهدافنا يجب أن تكون من الآن .. القتال من أجل كل ثمين فقدناه

.. من أجل حريتنا .. ومن أجل اعادة بناء مجتمعنا .. وبهـذا فقط .. نحقق استقلالنا ..

وكان تعليقي - في قرارة نفسي .. أن سوري - بعد لي لان - أنبل من عرفت من النساء.

الفصل الرابع عشر

كان هذا في أوائل شهر مارس ١٩٤٣ ، حين قامت مجموعة مكـونه من ونج نى ، وكولو ، وواسو ، ولان تا ، وين لين وغـيرهم باستطلاع المنطقة التى كانت قد اصطدمت فيها عربة كولو فسقطت في أحد الخنادق . منذ عام مضى . وبالصبر والجهد والعزم الأكيد استطاعوا الكشف عن ١٦٥ بندقية ، و ٦ رشاشات ماكينة ، و ٧ صناديق ذخيرة كبيرة الحجم ، و٦٠ شريط ذخيرة للرشـاشات ، و ١٧٠ قنبلة يدوية . كانت كلها ملقاة باهمال في منطقة شاسعة فوق الأرض وفي الخنادق . وقد عملت الطبيعة خلال هذه الشهور الطويلة على كسوها بالأتربة واخفائها عن العيون . وكانت الأسلحة مغطاة بطبقة من الصدأ وأنابيبها مملوءة بالوحل .

واستغرق عمل هذه الجماعة أكثر من أسبوعين . وحين ارتاحوا الى نتائج بحثهم خشوا أن يكتشف أمرهم اذا تمادوا في البحث طويلا . فاكتفوا بما حصلوا عليه . ودفنوا الأسلحة والذخيرة في عدد من الحفر المتقاربة ، أسفل بعض الأشجار المميزة حتى يمكنهم الرجوع اليها مرة ثانية . ثم تفرقوا وغادروا المنطقة متجهين شرقا الى منطقة كانوا قد انتخبوها من الخريطة ، لأنها تتميز بوجود واد عريض مستطبل يقع وسط غابة كثيفة تمتد بضعة اميال . تستر أشجارها هذا الوادى . وتحجبه تماما عن الرؤية وعن نظرات الأعين المتطفلة .

وفي الطريق بالقرب من هذا الوادي شاهدوا مبنى منعزلا لفت انظار كولو فقام بمعاينته ، كان في شكل مستطيل مفتوح تواجه اضلاعه الشرق والغرب والشمال ، اما الضلع الجنوبي منه فكان غير متكامل . والى جوار المبنى يجرى نبع ماء صغير . وكان المبنى في وسط الغابة بحيث لا تميزه العين ولا تكشفه الطائرات . فلم يتردد الجميع في اختيار هذا المكان الجديد مقرا دائما لهم ، والانتقال اليه نهائيا من الكهف الذي أصبح معرضا واصبحت حياتهم فيه مهددة . وقد استغرق انتقالهم الى المقر الجديد ونقل الأسلحة المدفونة اليه حوالى عشرة أيام . وفي اليوم الأخير . وهم يستعدون لمغادرة الكهف نهائيا ، كان تايبي يقوم بالمراقبة خارج الكهف وشاهد بالمنظار المكبر بعض الأشخاص يتحركون نحو الكهف بحذر وبطء ، وازدادت شكوكه حين شاهدهم يستخدمون الأرض والساتر بمهارة تدل على أنهم من الجنود . وبعد لحظات ظهرت وجوه أخرى كانت تتقدم أيضا من جهات أخرى . ثم بدت الحقيقة تتضح حين اقتربوا وتميز زيهم وسلاحهم .

كانت المجموعة قد استعدت للقاء هذه القوات . وانتشرت في أوضاعها السابق أعدادها والتدريب عليها بعد تعديل طفيف اقتضاه وضع القوات المهاجمة وعددها . فكان ونج تى وتايبي ولان تان على شمال الكهف وسلاحهم الرشاشات القصيرة . وكان ليك يى وآه بن وناتو ناتو في موقع متوسط أمام مدخل الكهف وسلاحهم البنادق ، ومجموعة ثالثة صغيرة تستر الجانب الأيمن وتواجه أي قوات جديدة قد تتقدم في هذا الاتجاه . كان كل فرد منهم يحمل الذخيرة اللازمة له ، وكان واجبهم واضحا بالنسبة لمقدار الذخيرة الذي يتطلب أن تكون كل طلقة . برجل . وبقى الأفراد متربصين في مواقعهم . يراقبون بحذر تحركات الجنود نحوهم ، وهم يرون الأعشاب التي يختفي الجنود خلفها . تهتز وتميل . . . تكشف عن مواقعهم . وحين وصلوا الى مسافة تقرب من المائة ياردة من

الكهف توقفوا ، وشاهد ونج تى بمنظاره ـ قائد القوة ـ وهو يصدر تعليماته الأخيرة الى ضابطين كانا الى جواره ، وبعد لحظات اخذت القوات تتقدم على عجل . وبدأت الشجيرات والأعشاب تهتز وتميل بشدة . وحين أصبحوا فى الأرض المكشوفة اندفعوا مسرعين نحو الكهف . ففوجئوا بالنيران تنهال عليهم فتساقطوا كأوراق الشجر فى الخريف .

كان العدو يحاول أن يفاجىء سكان الكهف بالانقضاض عليهم انقضاض الصاعقة ، ولكنه فوجىء بنيران الجماعة تفتح عليه من حيث لا يتوقع . فسقط من سقط ، وحاول من نجا أن يعود أدراجه بعيدا عن منطقة الموت هذه ، وتقدم تايبى ومجموعة خلف العناصر المنسحبة ، وحذا ونج تى ومجموعته حذوه . وتقدمت المجموعة الثالثة من يمين الكهف الى الأمام تقطع خط الرجعة على المنسحبين ، ولما أصبحت هذه المجموعات الثلاث على مسافة بعيدة من الكهف تنبه ونج تى الى خطورة موقف أصدقائه . فصاح فيهم يامرهم بالوقوف . وفجأة دوى انفجار شديد . شاهد ونج تى بعده خمسة من جنود العدو يعدون مبتعدين ففتح عليهم نيرانه ، وأرداهم فى الحال . ولما عاد ونج تى نحو مكان الانفجار شاهد تايبى ملقى فى قاع حفرة قريبة ـ مضرجا بدمائه ـ وقد أصيب بشظايا قنبلة يدوية القاها عليه أحد الجنود .

كانت اللحظات ثمينة .. وهم فى موقعهم هذا معرضون لنيران فلول العدو المنسحبة فأسرعوا يحملون جثمان تايبى وينفلتون عائدين نحو الكهف .. وفى الحال واروا الجثمان التراب .. وبعد صلاة قصيرة قال ونج تى :

ـ هنا يرقد زميل عزيز علينا .. سقط وهو يقاتل من أجل الحرية . وحين يحين الوقت سيكون قبره هذا مزارنا جميعا كل عام .

وفى الحال أسرع الجميع يغادرون الكهف فرادى مراعين الا يلاحظهم العدو . والا يتابعهم بأنظاره . حتى لا يكشفوا سر

ملجئهم الجديد . وحين وصلوا الى هناك قوبلوا بالترحاب والبشر حين استقبلهم اخوانهم وعلموا بالنصر الذى حققوه . ثم أعقب ذلك حزن وترحم حين أعلنوا نبأ استشهاد تايبى .

***

استغرق اعداد المقر الجديد أكثر من شهرين . تحول بعدها الى شبه قلعة قوية حصـينة حين انتشرت حولها ابراج المراقبة فوق قمم الأشجار . وامتدت الانشـاءات الخفيفة التى اقيمت لتتسع لأعداد جديدة من المتطوعين ، واعد الوادي ليستقبلهم حيث يتم تدريبهم وأعدادهم للعمل الذى سيقومون به .

وفى شهر يونية . كان المعسكر قد أصبح مجهزا لبدء العمل . وكان سك كى ، وكوما ، ووى كيـوى . قد انتخبـوا المتطوعين الذين سيبدأ تدريبهم ، بعد اختبارات عديدة وتحريات طويلة حتى يضمنوا عدم وجود أى خائن بينهم . وكانوا يرسلونهم فى مجموعات صغيرة الى مشرب للشاى قرب كامبار حيث يلتقون بأحد رجال المجموعة ، وكانت كلمة السر للتعارف بينهم تتغير مرة بعد مرة . وحين يتم تعارفهم يغادر الدليل المشرب ويتسلل خلفه باقى الأفراد سالكين نفس طريقه متباعدين مدى ما يمكن كل فرد من رؤية الفرد الآخر المتقدم أمامه .

وكان التدريب يسير فى المعسكر بعزم وتفانى ويشمل العديد من الموضوعات التى يحتاج اليها الفرد فى حرب العصابات والقتال فى الغابات والمنـاطق الجبلية تحت اشراف مجموعة توفرت لها الخبرة والقدرة على رفع مسـتوى المتطوع الى ما يؤهله للمهـام الجديدة التى ستلقى على عاتقه .

وبقى أخيرا أن تختار اسماء لهذا المعسكر بعد أن تعين ونج لى قائدا له . وتعددت الاقتراحات . وكان آخرها أن تطلق عليه رقما كوديا يستخدمه الأفراد فيما بينهم حين يكونون فى الخارج كوسيلة للتعارف والتأكد من الشخصية ، فوقع الاختيار على الرقم ١٠١٥ . واصبح معسكرنا يسمى رقم ١٠١٥ .

الفصل الخامس عشر

الى جوار مخزن الخشب الذى كان العم ليو قد افتتحه ـ كتغطية لعمله الحقيقي ـ كان يقوم مصنع صغير للملابس الجاهزة ، يديره شريكان صينيان . ونظرا للحالة السيئة التى عمت البلاد واحجام الناس عن الشراء ، اراد الشريكان تصفية تجارتهما ومغادرة المكان .. وكانت هذه هى الفرصة التى ينتظرها العم ليو ليحل محلهما نظير مبلغ معقول دفعه لهما .

كان قد بدا للعم ليو ان تنقلات أفراد المعسكر وفرق التحطيب وغيرهم ، ذهابا وعودة بين مقار أعمالهم وبين المدينة ، قد تلفت انظار رجال الشرطة والمباحث السرية ، اذا هى كثرت بغير داع أو مبرر معقول ، ولذا كان يرى انه يجب أن يكون هناك ما يربط بين تحركاتهم هذه وبين دوافع طبيعية لها ، تزيل أى شبهة قد تتجه نحوهم . وكان من رأى منج تى أن تفتتح المنظمة متجرا لبيع حطب الحريق الذى تستهلك منه المدينة كميات كبيرة ، وبذا يحضر المندوب الى المتجر حاملا الحطب أو ليشترى حطبا ؛ وحين يقابل مندوب المنظمة يبلغه ما معه من أنباء ويعود من حيث اتى . ولهذا حين خلا المتجر المجاور للعم ليو . لم يتردد فى شرائه .

وكان من المقرر أيضا ان تكون ادارة المتجر فى يد شخص يعرف افراد المنظمة معرفة تامة ، فاختير ليك بى لهذا العمل . ولم يستغرق الأمر طويلا . حتى انتظم العمل فى متجر الحطب هذا ونشطت الحركة فيه .

وأصبح المتجر أيضا مكانا مختارا للقاء أفراد المنظمة واجتماعاتهم بعد أن أعدت حجرة واسعة لهذا الفرض ، كانت تقع فى الجزء الخلفى للمتجر من الدور العلوى . وكان رجال المعسكر واعضاء المنظمة يترددون على المتجر يحملون الحطب والأنباء التى يلتقطونها

من الاذاعة أو من باقي المصادر الحكومية المختلفة حيث ينتشر عملاؤنا في كل مكان . ثم يعودون حاملين احتياجاتهم المختلفة ». وكانوا فوق هذا يحملون معهم ايضا نشراتنا الاعلامية ليوزعوها في القرى التي يمرون بها .

***

وفي أواخر شهر سبتمبر عام ١٩٤٣ حمل الينا وي كيوى انباء فاي كوا . وكنا قد علمنا قبل ذلك بشهور ، بما فعله حين اكتشف مصرع ميشياكو . ولكن معلوماتنا كانت ناقصة متضاربة ». فلما وصلتنا هذه الأنباء الأكيدة اكتملت لدينا الصورة تماما ».

فقد علم فاي كوا بنبأ الحادث من زوجته وخدمه ، قبل ان يعلم به رجال الشرطة أو المباحث . وكان قد وصل الى منزله قبل الفجر بقليل ـ بعد ان تبين الخدعة التي حملته على مغادرة منزله ـ فأخذ يطرق الباب دون جدوى وأمر سائقه بالضغط على آلة التنبيه بالسيارة ، فلم يصل الى سمعه أي رد من داخل المنزل ، وحين وجد أن الباب الخارجي للمنزل قد احكم غلقه ، أسرع يعدو نحو الباب الخلفي . وكرر محاولاته دون جدوى ، فتعاون مع السائق لتحطيم قفل الباب . ولما انفتح أسرع يعدو نحو البهو وهو ينادي زوجته واطفاله وخدمه ، فأجابته أصوات مكتومة تستغيث وتستنجد . فبحث حتى عرف مصدرها واتجه نحوه . وعند باب المخزن تعالت الاصوات فأسرع بفتح بابه ، حيث وجد اسرته مقيدة مكممة مطروحة على الأرض . وبعد أن فك وثاق زوجته تركها والسائق وأسرع نحو التليفون ، وحين وجد سلوكه ممزقة أمر السائق بالتوجه في الحال الى مركز الشرطة . وقبل ان يصل رجال الشرطة كان فاي كوا قد لقن زوجته وأطفاله وخدمه مايقولونه في التحقيق ، فكان يرى نجاته ونجاة أسرته في اتهام سوزى بأنها كانت خلف مصرع ميشياكو وبأن في يدها مفتاح الجريمة . وكان يحاول أن يقنع نفسه بأن هذه هي الحقيقة والا .. فلماذا لم يجد سوزى مقيدة ومكممة مع زوجته واطفاله ؟ . ولماذا لم تترك

خلفها دليلَ مقاومتها للصوص وعدم تعاونها معهم ؟. ولماذا لم يسمعها أحد وهى تصرخ مستنجدة طالبة الغوث . كان على يقين من أن القبض على هذه الفتاة سيؤدى للقبض على قتلة ميشياكو وكان فاى كوا فى ذلك الوقت على راس قائمة المتهمين الذين اتجهت اليهم شبهات رجال الشرطة . ولكنه كان قد وطد علاقاته بكبار رجال الاحتلال بعد ان اقام لهم النادى الليلى يقضون فيه لياليهم الحمراء ، وهو يغمرهم بالخمور المعتقة ويقدم لهم النساء ؛ واكثر من ذلك كان بالنسبة لهم مصدرا سخيا يلجأون اليه وقت الحاجة الى المال . فيحصلون منه على قروض لا يسددونها . وكان يغمرهم فى كل مناسبة بالهدايا الثمينة لهم ولزوجاتهم ، وكان من اكبر مصادر الأخبار التى يعتمد عليها رجال الشرطة العسكرية والمباحث الجنائية فى المدينة وما حولها . وبهذا استطاع أن يقضى على الأتهام الذى ظل يهدده طوال شهور ثلاثة . بل ونجح فى أن يدعم مركزه وأن يقوى نفوذه .

***

وتابعت المنظمة نشاطها وجهودها فقامت بعمل العديد من الكمائن للسيارات اليابانية التى كانت تتحرك ليلا على الطرق ، ونجحت فى تدمير خطوط التليفون والتلغراف أكثر من مرة ، وفى أكثر من مكان ، كما دمرت جسرا بالقرب من بيدور ، وقضت على دوريتين للشرطة العسكرية على طريق بيدور ــ يتلوك انسون ، وفى نفس الوقت كانت المنظمات الأخرى تتابع نشاطها . وكانت انباؤها تصل الينا وترفع من روحنا المعنوية ، وكان من ابرز اعمالها ؛ جهودها للكشف عن عملاء الشرطة والمباحث والقبض عليهم والتمثيل بهم ليكونوا عبرة لمن تسول له نفسه الضعيفة خيانة مواطنيه .

وكان رد الفعل فى الجانب المعادى توزيعه نشرات تعرض مكافآت سخية لمن يرشد عن اى فرد ينتمى الى هذه المنظمات . والوعد بالعفو وبالمكافأة لمن يثوب الى رشده ويعترف للسلطات

بسابق صلته بهذه المنظمات وببراءته منها الى الأبد . وكان قيامنا بالرد على هذه النشرات هو أول ما تلزمنا به واجباتنا ومبادئنا حتى نكشف للمواطنين غدر سلطات الاحتلال وخيانتها لكل من يقع فى يدها .

الفصل السادس عشر

كنت وحدى فى متجر الحطب ، مقر المنظمة فى ايبواه ، فى مساء يوم ٣٠ ديسمبر ١٩٤٤ ، وكنت اقوم بطبع النشرة رقم ٤٤ للمنظمة . وكما كان متبعا . كان آه سوب يدخل فى مدخل المتجر للمراقبة والانذار . وكانت سوزى تعانى وعكة خفيفة ، وكنت قد رجوتها ان تلزم حجرتها بالمنزل حتى أنجز عملى وأعود لنتناول العشاء معا . كانت هذه النشرة بالنسبة الى تمثل الكثير .. وكنت منكبا على اعدادها وطبعها بحمية ونشاط ، ليتسنى لى نشرها ليلة الاحتفال بعيد رأس السنة حتى تجيء ضربة مضـــادة للدعايات التى بدأ اليابانيون ينشرونها بمناسبة العيد ، وحتى نقضى على نشوتهم وفرحهم وهم يحتفلون به .

وبينما انا منهمك فى عملى توقفت آلة الطباعة فجأة ، وبعد أن تبينت أسباب العطل بدأت فى اصلاحه ، وفى أقل من ثلاثين دقيقة عادت الآلة الى العمل بعــد ان تخضبت يداى بالأحبــار ، فتوجهت الى حوض الغسيل ـ وكان يقع فى احد اركان الحجرة ـ واخذت ازيل ما على يدى من آثار ، وكان ظهرى للباب فلا أرى الداخل الى الحجرة ، وفى وقفتى هذه سمعت فجأة صوتا خشنا ينادينى « ارفع يديك » ، فاندفع الدم يملأ رأسى ويعمى بصيرتى ، واستدرت بحذر لأرى شابا يابانيا يرتدى زيا أبيض اللون ويحمل رشاشا قصيرا فى يده يصوبه نحوى ، والى الخلف منه كان يقف

شخصان آخران : احدهما صيني والآخر هندى ، وكلاهما يحمل طبنجة يصوبها ايضا الى . كنت كالفأر الذى وقع فى المصيدة ، وأنا أقع فى أيديهم متلبسا وقرائن الاتهام حولى واضحة ملموسة ، وصاح الشاب ببعض الكلمات اليابانية . نقلها الى الرجل الصينى قائلا .. « أركع أرضا » . فسقطت على ركبتى . وتقدم الصينى وقيد يدى خلف ظهرى ، وعصب عينى بمنديل كبير . وفى لحظات كنت أتلقى أولى ضربات اليابانى وهو يدفعنى بقدمه فى صدرى ، دفعة قوية القتنى ارضا ، وأخذ ينهال على ركلا وصفعا ثم امرنى بالوقوف فجاهدت حتى أقوم ، وقبل أن أتم محاولتى تلقانى الرجل الصينى بيده اليسرى وصوب يمناه بضربة فى أسفل صدرى ، فسقطت على الأرض اتلوى من الألم . وتوالت ضرباتهم حتى صاح اليابانى يأمرهم بالتوقف . ثم أمر مرافقيه بدعوة باقى الرجال الذين كانوا ينتظرون بالدور الأول ، وامرهم بتفتيش المتجر مبتدئين بالدور العلوى .. ثم السفلى .

وفى الدقائق التى قاموا خلالها بالتفتيش دار فكرى فى كل اتجاه يبحث عن المصدر الذى وشى بنا اليهم . وكيف امكنهم ان يدخلوا المتجر . وأن يفاجئونى بهذه الصورة . كان واضحا انهم لم يستخدموا القوة ضد آه سوب الذى كان يجلس أمام المتجر ، ولو فعلوا لتنبهت اليهم . وأدهشنى ألا يصـــــدر من آه سوب ما ينذرنى او يلفت نظرى ـ ولو حدث هذا ـ لتمكنت من الفرار من باب يقع خلفى يؤدى الى ممر صغير يقودنى بعيدا . ترى منذ متى وأعين رجال المباحث تراقبنا ؟ . وكيف كشفوا سرنا . هل وشى بنا أحد ؟. ومن هو ؟. هل تنبه أحد رجالنا الى ما يدور فى المتجر الآن ؟ . لينذر العم لو وسوزى ليبتعدا بعيدا ؟ .

وقطع على افكارى هذه ، دفعة قوية تلقيتها فى ظهرى ، وصوت يأمرنى بالوقوف . فجاهدت حتى وقفت ، وحين امرنى الصوت بالتقدم معه ، قادنى شخصان سرت بينهما ، وخطاى تتعثر وانا أنزل درجات السلم . وحين وصلنا الى الباب الخارجى امرنى

الصوت بركوب العربة وهو يدفعنى دفعا بفوهة سلاحه . وحين صعدت قادنى الى حيث أجلس . وحين بدات العربة تتحرك شعرت بيد تمتد الى يدى تربت عليها . ثم تنتقل الى وجهى بنفس العطف والحنان . كانت يدا خشنة . يد عامل يكدح بيديه ليحصل على قوته . انها يد آه سوب . بلا ادنى شك . وحين بدأت انطق اسمه انهالت اللطمات قاسية على وجهى وانا اسمع صوتا يأمرنى بالسكوت ، وفى نفس اللحظة كان جارى - صاحب اليد - يقاسى ما كنت اقاسى . وهو يبعد عن مكانى وينفصل الى طرف العربة البعيد .

وبدات الحقيقة تبرز أمامى ، وأنا اتخيل ما عسى ان يكون قد حدث فى اللحظات القليلة التى سبقت القبض على . فقد كان آه سوب قد اعتاد أن يجلس - فى الأمسيات الحارة - على مقعد خارج المتجر لينعم بالنسيم القليل الذى يهب على المكان بين لحظة وأخرى . وهو يدخن باستمتاع وشغف . وفى هذه الليلة لابد وان يكون رجال المباحث قد فاجأوه فى جلسته هذه ، وبادروا بشد وثاقه وتكميم فمه قبل أن يتمكن من انذارى . وهذا يوضحه لى أنه لم يحاول محادثتى وهو جالس الى جوارى فى العربة ، ولم يستطع أن يرد على حين أردت التأكد من اسمه .

ووصلنا الى مركز المباحث الجنائية . وانفتح باب العربة وجذبتنى يد خشنة من مقعدى ، وصاح صوت حاد يأمرنى بالنزول ، وحين وطئت قدماى ارض الطريق تلقيت ركلة فى مؤخرتى وصفعة على وجهى فسقطت على الأرض ، وتوالى ركلى بأحذيتهم الثقيلة فأسرعت احاول النهوض ، فلم أسلم من صفعاتهم .

وتقدمت أمامهم الى داخل المبنى ، وحين وصلت الى قرب نهاية الممشى الخشبى ، أمرت بالوقوف ، ثم بالركوع على ركبتى فامتثلت . ثم بدات أفكر فى العم ليو وسوزى . هل أمكن تحذيرهما فى الوقت المناسب ؟ . هل علم ليك بى ومن كانوا معه فى المتجر

المجاور بما حدث لى ؟ . لابد وان وصول رجال الشرطة وقيامهم بالقبض على قد اثار انتباه القوم . وان كانوا لا يجرءون على الخروج لمشاهدة ما يحدث . كم يسعدنى الا تكون سوزى معى فى هذه اللحظات العصيبة .. واخيرا .. ماذا سيفعل بى رجال الشرطة والمباحث ؟ . أن صفعاتهم وركلاتهم وضرباتهم ما هى الا مقدمة بسيطة ... لما نعلم جميعا انه يحدث لكل من يقع بين ايديهم .. وكنت اشعر بقرب النهاية .. وانا افكر فى زوجتى وفى طفلى ! .

وقطع على حبل تفكيرى صوت حاد ينادينى .. « انتباه » ، وصوت أقدام تطرق المشى بثبات واضح ، وهى تتقدم نحو باب الحجرة المجاورة لى . ثم أذهلنى صوت هادىء يدعونى الى الوقوف ، وقد اخذ صاحبه بعد ذلك يرفع العصابة عن عينى ، ويفك القيد من يدى ، ودعانى نفس الصوت الى التقدم معه حتى وقفنا امام مكتب ضخم يجلس خلفه احد الضباط ، والى يمينه كان يجلس ضابط أصغر رتبة . والى يساره كان يقف الرقيب أوكيرو الذى قبض على .

وحين وقفت أمامه صاح الرقيب يأمر بتحية القائد ، فانحنيت طويلا ، وانا اقتدى بالمترجم الذى كان يرافقنى . وحين رفعت راسى القيت نظرة فاحصة على هذا الرجل . وكان شعورى الأول ان بشاشته وابتسامته تجعلان شخصيته ـ فى أوساط الشرطة والمباحث اليابانية ـ تبدو غريبة غير مألوفة ، وتشيران الى أن المكان الطبيعى له يجب أن يكون فى دور العدالة .

ومن الواضح أنه كان يبادلنى النظرات ايضا . وأنه كان يفحصنى فحصا مدققا طوال هذه الثوانى التى سادنا فيها صمت مثير .. أذهلنى وهو يقطعه موجها حديثه الى باللغة الانجليزية :

ـ أظن انك تتحدث الانجليزية ؟ .

ـ نعم ..

ـ ما اسمك ؟ .

ـ ليو كيوى فو .

ـ هل تسمى ايضا ليو فو ؟ .

ـ كلا .. فقد اعتاد الناس أن ينادونى باسمى كاملا .. أو .. كيوى فو .. فقط .

ـ هل تستطيع أن تكتب اسمك بالصينية ؟ .. اكتبه هنا بحروف واضحة .

وناولني ورقة وقلما .. فكتبت اسمى . ولما اعدت الورقة اليه .. نظر فيها قليلا ثم قال :

ـ محل ميلادك ؟ .

ـ ايبواه ..

ـ سنك ؟ .

ـ أربعة وعشرون .

كان يسجل اجابتى بدقة وعناية لفتت نظرى . واوضحت لى دقته ومدى أهتمامه بعمله .

ـ ما اسم والدك ؟ .

ـ ليو ثيان وون .

ـ اين يقيم الآن ؟ .

ـ توفى وأنا فى الخامسة .

ـ اين تقيم والدتك ؟ .

ـ توفيت منذ ثلاث سنوات .. في بداية الحرب .

ـ هل لك اقارب على قيد الحياة ؟ .

ـ كلا .. فأنا وحيد ..

ـ ماذا ؟ . ألست متزوجا ؟ .

ـ نعم .. أنا متزوج .. ولكن زوجتى غادرت الملايو قبل بدء الحرب بثلاثة شهور .

ـ ما اسمها ؟ .

كنت على وشك ان اقول « لى لان » . ولكننى تداركت فى الحال حين احسست بما قـد يصيبها من ضرر !. فنطقت باسم احدى عماتى .. وقلت « سوفا » .

ـ لمـاذا تركتك زوجتك وهاجرت ؟ .

ـ انها لم تهاجر . ولم تتركنى . كانت فى حالة صحية سيئة وفضلت أنا أن ترافق بعض أصـدقائى لزيارة طبيب مشهور فى الهند .

ـ واين هى الآن ؟ .

ـ لا أعرف .. وآخر ما وصلنى عنها .. كان من بومباى .

ـ ما عملك ؟ .

ـ تاجر حطاب ..

ـ ما اسم متجرك ؟ .

ـ تاى ليم هوينج ..

كنا قد اتفقنا انه فى حالة القبض على فى متجر العم ليو أن اقرر أن المتجر ملك لى ـ حتى ابعد الشبهات عن الباقين اطول وقت ممكن . وما كنت لأتردد فى سلوك أوعر الطرق لأوفر الوقت للعم ليو ولسوزى للابتعاد عن الخطر .

ـ كم عدد الرجال الذين يعملون معك ؟ .

ـ واحد فقط .. يعمل كمساعد لى ..

ـ ما اسمه ؟ .

ـ آه سوب .

ـ اين هو الآن ؟ .

ـ لا اعرف ..

ـ اين تقيم عادة ؟ .

ـ فى المتجر ..

ـ لماذا وجدنا ثلاثة اسرة فى المتجر ؟ .

ـ انام انا على واحد ومساعدى على الثانى . أما الثالث فكان العامل تركنا أخيرا وذهب يبحث عن عمل آخر .

ــ احب ان انبهك الى ان كل ما تقوله سيتم التحرى عنه والتأكد من صحته فى خلال ساعات قليلة .

ــ أعرف هذا .

ــ قبض عليك وانت تقوم بطبع النشرة م . س . ى رقم ٤٤ هل تعترف بهذا .. وما المقصود بهذه الحروف ؟ .

ــ أعترف يا سيدى .. م . س . ى . اختصار لاسم « المنظمة السرية لمقاومة اليابانيين » .

ــ اذن فأنت تعترف بأنها منظمة ؟ .

لم أستطع الاجابة فى الحال .. حين شعرت بالخطأ الذى وقعت فيه . ثم رفع النشرة بين يديه واخذ يقرأ ما فيها .. وكان صوته يعلو فى بعض المواضع الهامة التى اراد التركيز عليها .

وحين اتم قراءة النشرة .. رفع رأسه ونظر نحوى بثبات وهدوء .. ثم قال :

ــ أريد الحقيقة يا بنى .. من كتب هذه النشرة ؟ .

ــ انا ..

فرفع بعض الأعداد بين يديه وهو يقول :

ــ هل كتبت كل هذه النشرات ؟ .

ــ نعم .. كتبتها كلها .

ــ اقدر فيك هذه الصراحة .. والآن خبرنى .. من يتعاون معك ؟ .

ــ لا أحد ..

فقال وقد بدأ يبدو على صوته الغضب للمرة الأولى :

ــ أقصد من الذى يمدك بالأنباء التى تذيعها محطات الاذاعة .. هل تفهمنى ؟ .

ــ لا أحد ..

ــ اذن أين جهاز الاذاعة الذى لديك .. أين تخبئه ؟ .

ــ لا أملك اى جهاز .

وبدات أشعر بالتغيير الكبير الذى بدا على صوته ، والحقد الذى ارتسم فى نظرته وهو يحاول ان يتمالك نفسه قبل أن يقول :

ــ لا أخالك تعرف من أنا .. والا لكنت أكثر حرصا ..
أنا الكولونيل ساكيتومو رئيس المكتب السرى «كمبيتاى» .. لقد درست البحث الجنائى فى طوكيو ولندن وبرلين . وعليك اذن أن تكون حذرا فى اجاباتك . أنا لا اعاملك كمجرم عادى . مع أنى أستطيع أن أدفنك فى التراب دون تحقيق . لقد تتبعت نشاطكم فترة طويلة . ولا أستطيع الا أن اقرر أن تنظيمكم رائع . وانك ورفاقك .. أقصد رؤساء المنظمة .. رجال على جانب كبير من الشجاعة والقدرة ، ولكنكم مع هذا سقطتم بين أيدينا .

ثم توقف قليلا قبل أن يتابع حديثة قائلا :

ــ أنتم لا تفهمون .. أو لا تقدرون المهمة المقدسة التى يحاول شعب الشمس المشرقة أن يؤديها هنا ، ومن حسن حظكم اننا نقدر الرجال الشجعان . ان حضرة صاحب الجلالة الامبراطور المعظم لا يحمل اى حقد أو ضغينة حتى للشعوب الغربية ، ولكنه يريد من هذه الشعوب أن تفهم ان شعوب آسيا لا يمكن ان تعامل معاملة العبيد والحيوانات .

هذه الحرب أيها الفتى . حرب مقدسة تعلنها شعوب آسيا لتحرير الشعوب من الذل والعبودية . ولهذا فعلى جميع هذه الشعوب ان تتعاون معنا ضد عدونا المشترك . فلماذا اذن تعمل أنت ورفاقك ضدنا . بينما الواجب يحتم عليكم أن تعضدونا وان تؤازرونا .. والآن هل تلزم جانب الحكمة والعقل فتوضح لنا كل ما يتعلق بهذه المنظمة ؟ ! .

ــ م . س . ى . منظمة رجل واحد . أنا هو م . س . ى .

فثار وهو يرمينى بالغباء والعناد ، فأجبته بهدوء وانا اقول :

ــ أنا لم أقرر سوى الحقيقة .. لقد كتبت كل هذه النشرات .

ــ نعم .. هذا امر ممكن . ولكن كيف تحصل على أنباء الاذاعة وانت تقول انك لا تملك جهازا ؟ . وكيف توزع هذه النشرات ؟ .

هل تريد ان تقول انك ساحر . أو انك فوق الطبيعة البشرية ؟ .
هل تعتقد انني من الغباء والبلاهة بحيث تجعلني أصدقك ! .

وعلى كل حال .. لقد استغرق القبض عليك أكثر من عامين ولا يمكن ان نحصل منك على كل شيء في دقائق ..

قال هذا وهو ينهض واقفا ويغادر الغرفة . ويتركني لأوكيرو ليتولى امري ..

الفصل السابع عشر

كانت الساعة التي تعلو مكتب الرقيب أوكيرو ـ حين دخلنا حجرته ـ تشير الى العاشرة صباحا . وكان اوكيرو يجلس خلف مكتبه . وهو يتظاهر بقراءة بعض الأوراق الموضوعة أمامه ، ووقفت انتظر . ووقع نظري على ما كان موضوعا على المكتب في هذه اللحظة .. كان مجموعة رهيبة من الأسلاك والحبال ذات العقد ، وسوطا من الجلد الأسود ذا طرفين . وسوطا آخر اطول حجما ، وعددا من قطع الزجاج والمسامير الرفيعة المتعددة الأطوال ، وقطعا مختلفة من الخيزران الرفيع .. وأخيرا جهازا كهربائيا صغيرا والى جواره عدة قطع من الأسلاك الرفيعة المجهزة تجهيزا خاصا .

وبقيت واقفا حتى أمرني المترجم بخلع حذائي وجوربي . ثم أمرني بالركوع على ركبتي ، وفي هذه اللحظات كان الرقيب يسطر بضع كلمات على ورقة امامه ، ثم أمر ماراكي بأن يستدعي توان سوباتا .. فلما وصل هذا .. انحنى محييا .. ثم انحنى جانبا .. ووقف ينتظر .. حتى بدأ أوكيرو يصدر اليه تعليماته ، وبعد لحظات اتجه بأبطارد نحوي .. وتوقف برهة قبل أن يقول بلغة انجليزية ضعيفة :

ـ انت أيها الصينى القــذر .. لمــاذا تتكلم الانجليزية ؟ .
« باجيرو » .. « خائن » .

كانت نظرته مخيفة . وكان وجهه ممتقعا . وكان صوته يتميز من الحقد والفيظ ، وتوقعت بدء العاصفة ، وتوقفت عن الاجابة وانا احاول أن آخذ حذرى فى خطوتى الأولى معه من الحديث معه حتى تابع حديثه قائلا :

ـ هل تظن أننى لا أجيــد الانجليــزية ؟ . أنت أيها العبــد الانجليزى .. يجب أن تشرح جثتك وتمزق قطعة قطعة .

فواصلت صمتى وانا اراه يحاول اثارتى ليدفعنى الى الخطأ . وانتظر قليلا يراقبنى قبل أن يتابع حديثه قائلا :

ـ ها أنت ترى الآن .. العار فى الحديث بهذه اللغة القذرة .. كا .. « لفظ يابانى يختمون به فقرات الحديث .. بمعنى أليس كذلك ؟ » . وها انت لا تريد أن تتحدث بها ! .

ثم اتجه نحو مساعده ـ ماراكى ـ وهو يقول :

ـ كاروواوت ..

وقبل أن أتبين ما يعنيه بهذه الكلمة .. تقدم المساعد ورفع السوط بين يديه وانهال به فوق راسى وظهرى وصدرى . وحين كنت أحاول أن ارفع يدى لأقى بهما راسى ، كانت ضرباته تزداد وتشتد . وحين سقطت على الأرض اخذ يركلنى بقدميه فى كل جزء من جسمى وأنا اتلوى ألمـا ..

وفجاة صــاح أوكيرو يامره بالتوقف .. ثم وجه الى حديثا وهو يبصق فى وجهى بالطباق الذى كان يمضغه :

ـ تتكلم الانجليزية الآن ؟ .

فاستدرت نحو المترجم وقلت :

ـ بما أننى صينى الجنسية .. فانا افضل الحــديث بلغتى الصينية ، وما كنت اتحدث الانجليزية مع القائد الا لأنه اراد ذلك .

ولما ترجمت كلماتى للرقيب ثار وهو يقول :

ـ اذن لماذا لم ترد على حديثى انا ايضا بالانجليزية ؟ . من تظن نفسك .. باجيرو ؟ .

وعاد المساعد الى سوطه .. وانهال به على .. وكان يزداد قسوة وشدة كلما رآنى صامتا اتحمل الألم الذى كنت أتكتمه .

ولم يتوقف الا حين وصل الى أسماعنا صراخ عال .. كان واضحا أن مصدره ضحية أخرى فى نفس المبنى .. فقام أوكيرو بعدها وغادر الحجرة . وبعد دقائق قليلة عاد الى الحجرة ، واخذ يستجوبنى وهو يقول :

ـ يجب ان تطيع الشرطة والمباحث السرية . وأنا ارى انك رجل عاقل وتقدر ما يمكن أن يصيبك .. كا .. « اليس كذلك ؟ » والآن من هم الرؤساء فى المنظمة .. من هو الرئيس ومن هو التالى له . ومن هو الثالث . والرابع ؟ .

ـ م . س . ى . عبارة عن رجل واحد . انا وحدى م.س.ى. الرئيس والتالى والثالث والرابع .



فانفجر وهو يغادر مقعده ويسحب قطعة من الحبل مملوءة بالعقد وينهال بها علي وهو يقول :

ـ هل تريد أن أضربك بهذا حتى أقضي عليك ؟ .

وعدت احاول ان اقي راسي ووجهي من ضرباته فركلني بقدمه أسفل صدري فسقطت ارضا .. فتابع ركلي بحذائه ، ثم عاد الى الحبل ينهال به على ، وحين شاهد دمي ينزف من خلف أذني ومن رقبتي ويغمر قميصي ويخضبه .. ازدادت ثورته ، ولم يتوقف حتى شعر بالتعب والاجهاد بعد أن اصبحت في حالة يرثى لها .. راسي يكاد ينفجر وأنفاسي تتلاحق بشدة وعنف ودمي ينزف ولا استطيع وقفه ، وكل جزء في جسدي شبه محطم .

ثم جلس على مقعده واشعل سيجارته قبل أن يتابع استجوابي قائلا :

ـ اين جهاز الاذاعة ؟ .

ـ لا املك أي جهاز ..

ـ أين مقر رئاسة المنظمة ؟ .

ـ انا الرئاسة .. وانا كل شيء في المنظمة .

ـ انذرك بسوء العاقبة وأعطيك فرصة أخيرة ..

ـ لقد قلت الحقيقة ولم تصدقوني .

فهب واقفا وهو يلتقط حبلا مفتولا من فوق المكتب . واخذ ينهال به فوقي . ورأى مساعده أيضا الا يكون أقل رغبة منه في تأديبي ، فعاد بسوطه يمزق جسدي .

وهكذا كانت الأسئلة توجه الى .. وكانت اجابتي عليها تثيرهم وتغضبهم فيتابعون تعذيبي حتى تخور قواهم أو يروا أن ما نلته من عذاب لابد أن يكون قد الان عريكتي . وانني بعد كل هذا الذي

اصابنى لا شك مدل لهم بكل مايريدون . ولكننى لم اتكلم حتى سقطت مفشيا على ..

وحين تنبهت الى نفسي تبينت أننى أرقد وحدى فى غرفة ضيقة ... وحين حاولت النهوض من فراشي وجدت صعوبة فى الحركة ... وشعرت بألم يعصرنى فى كل موضع من جسمى ... وكانت ثيابى كلها مخضبة بدمي ... وكنت أشعر بظمأ شديد ... وحاولت أن أنادى الحارس وأنا استجديه قطرة من الماء . ولكنه ابتعد عن باب الحجرة متجاهلا ندائى ..

وبقيت وحدى أقاسى آلامي وأنا أنتظر عودتهم بين لحظة وأخرى وفى لحظات انتظارى التى طالت ... اتجه تفكيرى الى أن حاول خدعهم ببعض البيانات التى قد تبعدهم عن ايذائى ... ولولساعات ولكنهم جنبونى هذه المحاولة بأنهم لم يعودوا الى ثانية هذا اليوم .

وعند الغروب امتدت يد من أسفل باب الغرفة تدفع اناء صغيرا من الأرز المسلوق وقدحين من الماء . وكان فى فرحتى بهذه الوجبة ما أنسانى آلامى الى حين .

وحاولت الرقاد فلم أستطع اليه سبيلا .. لأن جراحى كانت تملأ جسدى فى كل جزء منه .. ولم أجد جنبا أرقد عليه بغير ألم .. وزاد الطين بلة .. لسع هذه الحشرات اللعينة التى بدأت تهاجمنى .. البعوض .. البق .. حتى الصرصور والنمل جذبتها رائحة دمى فسعت الى جراحى حيث المائدة شهية .. وهكذا بقيت الليل بطوله ساهرا أحاول ابعادها عن جسدى .

وقبل الفجر دوى انذار عال يأمرنا جميعا ... بالنهوض ... وحمل صفيحة المخلفات الى الخارج . ومن فتحة صغيرة أسفل الباب دفعتها أمامى وزحفت خلفها حتى وصلت الى الردهة ، وسرت مع غيرى فى طابور الى الخارج ، وفى المكان الذى حدده الحارس ألقيت بالمخلفات ... ثم أمرنا بتنظيف الصفيحة من نبع مياه

قريب ... وانتهزت الفرصة لأغمر وجهى ورأسى بالماء .. وكان جزائى ركلة قوية أطاحت بى بعيدا .

ومضى اليوم .. وفى المساء تنبهت الى المناسبة .. وعلمت لماذا لم يحضر اوكيرو ؟ . ليتابع استجوابى والتمثيل بي بعد ظهر الأمس واليوم .

لقد كان لديه ما يلهيه عنى .. وهو يحتفل بعيد راس السنة الجديدة .

الفصل الثامن عشر

وبقيت وحدى صباح اليوم التالى أيضا ، وتوقعت أن يكون أوكيرو يعانى الكثير .. بعد سهرة الأمس ، كم تمنيت لو تحل به أمراض الدنيا كلها .. وتقضى عليه الخمور التى تجرعها .. ولكننى فوجئت بطلعته الكئيبة ، حين استدعيت لمقابلته بعد ظهر هذا اليوم .. وكان يجلس الى مكتبه ، والى جواره يقف رجل صينى لم أميز وجهه .. وأمرنا بالتحية .. فأديناها .. وبقى هو منكبا على أوراقه لحظات .. وحين رفع رأسه .. كانت آثار سهرة الأمس بادية على وجهه المغضن .. وعينيه الحمراوين .. وهما تكادان تنفجران شررا .. فتأكدت أن حالته هذه .. لا تبشر بالصبر .. أو الهدوء ، وتوقعت أن تكون معركته معى اليوم .. أشد ضراوة وقسوة .. مما كانت عليه فى المرة الأولى ..

وأدهشنى أن يوجه حديثه الى اليوم باللغة اليابانية - بدلا من الانجليزية التى أوسعنى ركلا وجلدا حين رفضت أن أتحدث بها - ولما أنهى حديثه ، قام المترجم بنقله الى فقال :

ـ يريد السيد ان يعرف هل ما زلت تصر على أنك ـ وحدك ـ صاحب هذا المتجر •

ـ نعم يا سيدى •• أنا وحدى •

ـ ما قولك فى أن السجلات الرسمية تشير الى أن المالك هو ليو كام ؟•

ـ ليو كام •• اسم آخر أتسمى به احيانا •

ـ كم تبلغ من العمر ؟•

ـ خمسة وعشرين •

ـ اذن لماذا حددت السجلات عمر ليو كام بخمسة وأربعين ؟•

لم أستطع الاجابة على هذا السؤال المفاجيء ـ بسرعة •• وحين عجزت •• تابع المترجم أسئلته فقال :

ـ فلنفرض مجازا أنك ليو كام •• أين تقيم اذن ؟•

ـ أقيم فى المتجر •• متجر الحطب •

ـ وبخلاف متجر الحطب هذا •• ألا تقيم فى مكان آخر ؟•

ـ كلا •

فصاح ينعتني بأبشع الصفات •• وهو يقذف فى وجهى ببطاقة صفراء •• وحين التقطتها •• لاحظت أنها البطاقة العائلية الخاصة بالعم ليو •• فعجزت عن الكلام •• وأنا أرى أوكيرو وهو يلعب •• وبين يديه أوراق كثيرة رابحة !• وتأكدت أنهم قد وصلوا الى متجر العم ليو •• وأنهم قد فتشوه •

واستمر أوكيرو لحظات يقلب الأوراق بين يديه •• ثم قال :

ـ هل تعرف من يقيم فى المتجر المجاور لك ؟• الى اليمين ؟•

ـ لا •

ـ اذن لماذا هربوا جميعا بعد أن تم القبض عليك ؟!

ـ اسألوهم أنتم ..

وهنا ثارت ثائرة أوكيرو ، وانفجر وهو يصرخ بصوت عال .. والكلمات تنطلق من فيه كما لو كانت طلقات مدفع رشاش .. تاركة خلفها وميضا من نار .. ولما سكت ، انحنى المترجم نحوى انحناءة طويلة ثم اعتدل وهو يقول :

ـ انهم من جرذان الغابة .. ولهذا تنكر معرفتك لهم .. وتتنصل من علاقتك بهم . لن تنجح فى خداعنا أيها الكلب .. فلدينا ما يثبت صلتك بهم ..

ثم توقف المترجم قليلا ليستمع الى تعليمات أوكيرو .. قبل أن يتابع ترجمتها الى ويقول :

ـ لقد أمهلناك أكثر من يومين .. ونحن نأمل أن تتدارك موقفك .. وأن تقدر ما أنت فيه من خطر .. وأن تثوب الى رشدك .. فهل ستتعاون معنا .. أم لا ؟.

توقفت لحظات قبل أن أجيب على سؤاله .. وكنت أشعر بالسعادة لأمرين .. أولهما تأكدى من هروب العم ليو وسوزى فى الوقت المناسب .. وثانيهما ثقتى من عدم توافر أى دليل لديهم يثبت علاقتى بأصحاب هذا المتجر .. والا ـ فلماذا هذه الأسئلة عنهم !.. ثم قطع أوكيرو على لحظات سعادتى هذه وهو يصرخ قائلا :

ـ تكلم .. يا جارو ..

ـ نعم يا سيدى !.. كيف تريدون أن أتعاون معكم ؟.

فنظر الى والشرر يندلع من عينيه ثم قال :

ـ أولا يجب أن تعترف بكل شىء .. وأن تتبرأ من هذا التنظيم القذر . واذا كنت صادقا فى نياتك هذه .. فيجب أن

تذكر لنا أسماء قادة هذا التنظيم السرى •• وأن ترشدنا الى كل من تعرفهم من الجواسيس والخـــونة الذين ينتشرون بيننا •• ويعملون ضدنا •• وتأكد بعد ذلك أننا سنؤمن لك الحرية •• والسلامة •

ـ لقد أعلنت للقائد أننى أعمل ضد اليابانيين •• لأنهم قتلوا أسرتى وعذبوا قومى !•• وانى أقمت هذا التنظيم •• لأرشـــد قومى وأنير بصيرتهم الى ما تفعلون بنا ، وأؤكد لكم للمرة العاشرة •• أننى أعمل وحدى • لقد قبض على وأنا أطبع النشرة •• وأنا وحدى لذلك •• الذى استحق الموت ، فكيف ترغموننى على اتهام الأبرياء !!

ـ اننى أمنحك الفرصـــة الأخيرة •• فهـــل لديك ما تريد تصحيحه •• أو ايضاحه ؟•

ـ كلا يا سيدى •

حينئذ أمرنى المترجم أن أخلع ملابسى ، وجاء من قيد وثاقى •• ثم دفعونى خارج الحجرة وسرت بين الحرس حتى الحديقـة •• وهناك أوقفونى بجوار شجرة سرو عاليـة ، وأمرونى بالرقاد على صدرى ، ثم قيدوا ساقى حول جذع الشجرة •• ثم انهـالوا فوق ظهرى بالسياط •• وكلما اهتز جسدى وتحركت قـدماى زاد احتكاك جلدى بجزع الشجرة •• فكان عذابى بذلك يتضاعف من جراح ظهرى •• وتسلخ جلدى • وكدت أفقد شعورى وسيطرتى على نفسى ، وأحسست شيئا فى خاطـــرى ينزع الى الاستسلام والاعتراف •• وأنا ارى حياتى معلقة فى خيط رفيع •• يمكننى أن أحول دون تمزيقه •• لو تكلمت • لكننى سمعت من أعماقى أصواتا تهتف بى •• انها أصوات زوجتى •• لى لان •• والعم ليو •• وسوزى •• وكلها تصيح قائلة :

ـ ليو فونج •• تماسك •• وتحمل • ما قيمة الحيـــاة •• بعد أن تخون من ائتمنوك على سرهم •• وحياتهم ••

فصحت دون وعى أقول والسياط تنهال فوقى بلا رحمة :

ـ أبدا ٠٠ محال ٠٠ محال ٠٠ أن أخونهم ٠٠ أو أشى بهم ٠

ثم غبت تماما عن وعيى ٠٠ ولا أدرى ما أصابنى بعد ذلك ٠

وحين فتحت عينى تنبهت تدريجيا الى نفسى وأنا أرقد على صدرى فوق قطعة من المشمع مثبتة من أطرافها الى أربعة أعمدة من الخشب ٠٠ والى جوارى كان يقف شاب هندى فى ثياب بيضاء ٠ وفى بادىء الأمر تصورت أننى فى المستشفى ٠٠ ثم تنبهت بعد ذلك ٠٠ الى أننى فى حجرتى ٠٠ وقد نصبوا هذا الفراش ليساعدنى على تحمل آلام جراحى ٠ كانوا ينادون هذا الرجل ذا الرداء الأبيض بقولهم « دكتور » ٠٠ ولما أخذت أحاول النهوض أمرنى بالرقاد وهو يقول :

ـ لا تحاول الحركة ٠٠ فجسدك كله ممزق ٠٠ ولحسن الحظ ان عظامك بقيت سليمة ٠

ـ ولماذا أشعر بهذا الضعف يا سيدى ؟٠

ـ أولا ٠٠ لما نزف من دمك ٠٠ وثانيا لأنك لم تتناول أى طعام خلال اليومين المنصرمين ٠٠ فقد كنت خلالهما نائما بتأثير المنوم الذى أعطيته لك ٠

أدهشنى أنهم لم يجهزوا على ٠٠ وأنهم تركونى فى رعاية طبيب يحاول انقاذى ، ولكننى حين تذكرت قيمة حياتى بالنسبة اليهم ، ومدى حاجتهم الى حتى يستخلصوا منى كل ما يريدون ٠٠ زالت عنى كل دهشتى ٠٠

وحين قام الطبيب بتضميد جراحى ٠٠ كدت أجثو تحت قدميه وأنا أرجوه أن ييسر لى سبيل الموت والخلاص ٠٠ فقرص واحد من أى مادة سامة ٠٠ سيحقق رجائى ٠٠ دون أن يشعروا بما حدث ٠٠ ولكنه تجاهلنى ٠٠ وتظاهر بأنه لم يسمع ما قلت ٠٠

وبعد لحظات سأل ماراكي ـ وكان يقف معنا •• أن يحضر بعض الماء الساخن ـ فلما انصرف أقبل الطبيب علي وهو يقول :

ـ خذ حذرك يا بني •• فهذا الرجل يفهم الانجليزية أيضا•• وهو يراقبنا •• فأنت متهم •• وأنا أسير حرب •• فاذا أنت مت فلن يتركوني وشأني بعد هذا الحديث •• أرجوك ألا تتكلم معي بعد ذلك •• الا للاجابة على ما أوجه اليك من أسئلة •• فالمكان ملىء بالجواسيس ••

ولما عاد ماراكي •• وقف يراقب الطبيب •• ويتابع ما يفعله معي • واستمر علاج الطبيب أكثر من أسبوعين •• وكان ماراكي ـ أو غيره من الرقباء ـ يرافقه دائما كظله •

وفي اليوم الأخير ، قدم الدكتور سبدين •• وبعد أن وقع الكشف الأخير علي •• هنأني بنجاتي ، وبشرني بقرب شفائي ، فشكرت له فضل رعايته • وتظاهر بأنه يبحث عن دفتر السجل الذي يقيد فيه ملاحظات مروره اليومي ، ولما لم يجده رجا ماراكي أن يحضره له من الحقيبة التي تركها بالعربة .. فلما خرج •• ناولني الطبيب زجاجتين وطلب مني أن أخفيهما تحت فراشي وهو يقول :

ـ الزجاجة الكبيرة بها سائل له رائحة نفاذة كفيلة بابعاد أي حشرة عن فراشك •• اذا سكبت بضع قطرات صغيرة منها على أطراف الفراش قبل النوم • والثانية بها بعض أقراص السلفا•• وأنت تعرف متى تحتاج اليها !••

ولما عاد ماراكي بالسجل تناوله الطبيب وتظاهر بالكتابة فيه •• ثم غادر الغرفة •• بلا كلمة وداع •• أو تحية •

وفي اليوم الثالث والعشرين لي •• بين جدران هذا السجن •• دعيت لمقابلة الجزار أوكيرو ـ للمرة الثالثة ـ فرمقني بنظرته

الفاحصة ، وبدا السرور على وجهه وهو يراني وقد فقدت الكثير من قوتي وجهدي وبان هزالي •• وتوقف لحظات قبل أن يقول :

ــ من المؤسف أنك لم تمت ••

قالها ومظاهر الجد بادية على صوته ، ثم أشار الى السوط الذى يعلو مكتبه ، وتابع حديثه قائلا :

ــ لقد اتى هذا السوط على خمسة عشر من امثالك .. واعتقد أنك ستكون السادس عشر •

لم أنطق بكلمة ولم أعلق على حديثه •• فأغاظه صمتي •• فقال :

ــ ما زلت عنيدا •• يا جيرو •• الم تتحطم معنوياتك بعد ؟•

ــ أنت تعلم أنني عاجز تماما •• فكيف أستطيع مقاومتك ••

وقبل أن أتم حديثي طرق طارق باب الحجرة المواجه لأوكيرو وهو يستأذن في الدخول •• فأذن له ، ولما استدرت بالغريزة أنظر الى القادم ، ذهلت وصدمت وأنا أشاهد هاليسمات •• زميل كفاحي ، ولا بد أن يكون هو الآخر قد ذهل •• حين شاهدني ••! فقد بدا واضحا على وجهه أنه أخذ •• وفوجىء •• ولم يخف هذا عن أنظار الثعلب أوكيرو •

وتدارك هاليسمات مسرعا ، وتغلب على شحوب وجهه وهو يتقدم لينحني أمام أوكيرو •• ويقول :

ــ أمرت يا سيدى أن أصطحب بعض المسجونين الى باتوجاجا •• وقد جئت أبحث عن الضابط المنوب ••

قال هذا وهو يقدم خطاب اعتماد يحمله فصرخ أوكيرو يقول:

ــ اذهب الى الجحيم أيها الغبى •• من الذى أرشدك الى هنا ••!

وحين انحنى هاليسمات محييا لينصرفَ ، أوقفه أوكيرو وهو يقول :

ـ هل تعرف هذا الرجل ؟•

ـ كلا يا سيدى •• لم أره قبل هذه اللحظة •

ـ أنظر جيدا الى هذه الأفعى ذات الرأسين •• وراجع ذاكرتك جيدا •

فخطا هاليسمات خطوات نحوى وهو يدقق النظـــر فى •• وكنت أشعر أننا نتبادل الحديث فيما بيننا صمتا •• وأنه يحمل الى تحية اخواني ورفاقي •• وانني أؤكد له عزمي على الصمود•• مهما كان الثمن ـ وبعد لحظات رفع رأسه نحو الرقيب أوكيرو وهو يقول :

ـ حقيقة يا سيدى •• هذا الوجه غريب على •• ولم أره من قبل •

ـ ماذا ترى فيه ؟•

ـ لا بد أن يكون مجرما عتيدا •• والا لما أتوا به الى هنا ••

ـ اذن أرنى كيف تعامل هذا المجرم ؟•

قالها وهو يقدم السوط الى هاليسمات •• ويراقبه بنظـــرة ماكرة ، وتردد هاليسمات قليلا •• قبل أن يلتقط السوط بيـــده اليسرى ـ بدلا من اليمنى ـ وأخذ ينهال به فوق ظهرى وكتفى وهو يقذفنى بأقذع الشتائم •• ولـكن أوكيرو قام فجـأة وانتزع السوط من يده وأخذ يضربنى وهو يقول :

ـ اضرب هكذا أيها الغبى •• بيدك اليمنى •• وأره كيف تكون لذعات السياط ••

وعاد هاليسمات الى السوط •• يتظاهر بضربى ولا يستغل نصف قوته ـ حتى صاح أوكيرو يقول :

ـ اركله بقدمك •• وابصق في وجهه بشدة •• اذا كنت حقيقة لا تعرفه ••

فقال وهو يفعل ما أمر به :

ـ أقسم يا سيدى اننى اشاهد هذا المجرم الآن للمرة الأولى •

وحين أمره بالانصراف ـ شعرت بنظراته •• كما لو كانت تتحدث الى •• وتشجعنى على التحمل •• وتعتذر الى •• عما حدث • وتأكدت وأنا أودعه بنظراتى ـ أن حضوره لم يكن اعتباطا •• وأن المنظمة والعم ليو •• ونج تى •• أرادوا جميعا أن يعرفوا أخبارى •• وأن يطمئنوا على صمتى •• وأن يشجعونى ويؤازرونى •• بصورة ما •• فى موقفى العصيب هذا •

ولما غادر هاليسمات الغرفة عاود أوكيرو استجوابى فقال :

ـ هل تريد حمام المعدة أيها الخائن ؟ ••

فأجبته بالنفى وأنا أذكره بتعليمات الطبيب الذى كان قد حذره من الاقدام على هذه الخطوة معى •• فأجابنى قائلا :

ـ اذن تكلم •• وتعاون معنا •• وسأكافئك بوظيفة طيبة في المباحث ••

ولما كنت قد قررت أن أحاول كسب الوقت •• وأن أعمل على خدعه ، قلت له :

ـ كيف يكون تعاونى كاملا يا سيدى •• وأنا على هذه الحال البالغة السوء ؟! ••

ـ هل قررت اذن أن تتعاون معنا ؟ ••

ـ نعم يا سيدى •• وقد بدا لى واضحا الآن مدى الخطأ الذى ارتكبته •• وأريد أن اغير سلوكى •• وان أتعاون معكم •

فأمرنى أن أسجل اقرارى هذا كتابة ، ثم تناول الاقرار وهو يشعر بالزهو والفخار •• بالنصر الذى حققه معى •• بعد أن عجز قائده عن الوصول الى هذه النتيجة معى • وطوى الورقة بعناية وهو يقول :

ـ كم يسعدنى أن تعود الى عقلك •• سأوفر لك الراحة والغذاء لتسترد قواك بسرعة •• وبعد ذلك ستخبرنا بكل شيء •• كاه •• (أى أليس كذلك ؟)

ـ نعم يا سيدى •• بعد أن أسترد قواى •• فـــراسي يدور الآن •• وأشعر بأننى على وشك السقوط ••

الفصل التاسع عشر

التزم الرقيب أوكيرو بوعده معى ، ووفر لى الفراش المريح ، والغذاء الدسم ، وهو يمنينى بالمزيد •• اذا أظهـــرت حسن نيتى واستعدادى للتعاون الكامل • ومع كل ذلك ، لم أذق طعم الراحة ولم أنعم برقاد هادىء •• وانا أشعر بنتائج هذه اللعبة الخطرةالتى بدأت أمارسها •• •اتوقع اليوم الذى يكتشف فيه أوكيرو خدعتى •• واتنبأ بما سيصيبنى •• خاصة وانا أستمع طوال ساعاتالليل •• الى أنين ضحايا أوكيرو •• وزبانيته •

ومضى أسبوع وأنا أنعم بهذه الرعاية ، وذات صباح قدم ماراكى ليصحبنى الى حيث ينتظرنا أوكيرو •• وفى الطريق ـ وقع نظرى على اثنين من المساجين الهنود •• كنا نتعامل معهما ، ونشـــترى منهما حاجتنا من الورق لاعداد النشرات • وفى الحال •• اتضحت

الحقيقة أمامى ، وتبينت كيف وصل أوكيرو ٠٠ الينا ، فلا شك أنهما ـ بعد أن وقعا بين يدى أوكيرو ٠٠ وأصابهما ما أصابنى من تعذيب ـ انهارا واعترفا بكل من يتعامل معهما ٠ فبدأ أوكيرو بعد ذلك يراقبنا ٠٠ ويتتبع خطانا ٠٠ الى أن وقعت أنا فى قبضته ٠

وحين وصلت الى مكتب أوكيرو تلقانى ببشر وترحاب وهو يقول :

ـ أرجو أن تكون قد تمالكت قواك ٠٠ ونشط ذهنك ؟٠

ـ نعم يا سيدى والفضل لكم ولحسن رعايتكم ٠

ـ يوروشى « جميل جدا » ٠٠ والآن ٠٠ من هم القادة ؟ ٠ بالترتيب هكذا ٠٠ رقم١ ٠٠ رقم٢ ٠٠ رقم٣ ٠٠ رقم٤ ٠٠ الخ ٠

كنت قد أخذت أهبتى لهذه اللحظة ٠٠ وكنت قد حددت كل ما سأقوله بالتفصيل ، وراجعت ما سأدلى به ٠٠ مرارا ، حتى لا تخوننى ذاكرتى لحظة أثناء التحقيق ، وحتى لا أسقط فى شرك قد ينصبه لى أوكيرو ، حين يحاول اختبار مدى صدقى ٠٠ فقلت :

ـ سأتكلم يا سيدى بصدق ٠٠ وولاء ٠٠ رقم١ ٠٠ وولونج (الدراجون الأسود) ، رقم ٢ ٠٠ تاما (الحصان الكبير) ، رقم٣ فى سا (الثعبان الطائر) ٠٠ وأنا ٠٠ رقم٤

ـ وماذا يطلقون عليك أنت ؟٠

ـ فوشين (السهم المشتعل) ٠

ـ يوروشى (جميل جدا) ٠٠ أسماء معقولة ٠٠ تماما كما كان يفعل أجدادنا ٠٠ مع أبطال وعظماء بلادنا ٠٠

ثم بدأ يسألنى عن وولونج ؟٠ عن اسمه الحقيقى ، أوصافه ، محل ميلاده ، زوجته ، أبنائه ، والديه ، محل اقامتهما ، أشقائه

وأقاربه ، اللغات التى يعرفها •• وغير ذلك من بيانات مستفيضة •• ثم انتقل الى تاما ، ثم فى سا •• ثم المنظمة ••

وكان يسجل كل ما أقوله تسجيلا دقيقا • ثم أمرنى بعد ذلك •• أن أسجل كتابة ـ باللغة الصينية التى أجيدها ـ كل ما ذكرت من بيانات عن الأفراد الثلاثة ، وعن المنظمة • ولما انتهيت وتمت الترجمة الى اليابانية •• أخذ يقارن ما كتبت بما كان قد سجله •• •• ويعاود الأسئلة فى بعض البيانات •• ليقارن للمرة الثالثة •• أو ليحاول الخديعة والايقاع بى ان كنت مضللا ، فلم أخطىء أبدا سوى فى بعض البيانات الجزئية الخاصة بالوالدين •• أو الأقارب •• وكنت أعتذر بأن أعضاء المنظمة لا يتدخلون فى الشئون الشخصية الخاصة بغيرهم من الأعضاء • وقبل أن ينهى أسئلته فاجأنى بقوله :

ـ والآن •• كيف تثبت لنا صدق اعترافك ؟••

ـ ماذا يفيدنى ـ وأنا سجين بين أيديكم •• أن أحاول تضليلكم !•

ـ ولماذا تتعاون معنا الآن ؟•

ـ أنا بشر يا سيدى ، أنظر الى •• والى جلدى ، جلد الرجل الصينى كجلد الرجل اليابانى •• من لون واحد •• والصينى واليابانى من معدن واحد ، ومن أصل عريق ، ونحن أخوة فى الدم •• وفى الجسد •• وانا أشعر الآن بذنبى العظيم ، وبأن واجبى هو أن أتعاون معكم •• مع أخوتى أبناء الشمس المشرقة •

ـ يوروشى •• والآن ، قل لنا أين تخبىء جهاز الاذاعة ••

ـ حين هاجمتم ملجأنا فى الكهف ، منذ أكثر من عام مضى ، حمله وولونج معه ، ولا أدرى أين ذهب به !••

فقام واتجه نحو الخريطة المعلقة على جدار مكتبـــة •• وهو يقول :

ـ وضح لنا على هذه الخريطة •• موقع الكهف ••

فتظاهرت بدراسة الخريطـــة •• ثم أشرت الى موقع تقريبى لمنطقة الكهف ، فابرقت عيناه وهو ينظر الى الموقع الذى حددته ، ثم عاد الى مكتبه وفتح ملفا كان أمامه وأخذ يقلب صـــفحاته •• ثم توقف يقرأ •• ويراجع ما فيه من بيانات عن الكهف •• ويقارنها بما ذكرت •• ثم توقف فجأة •• واستدار نحوى وهو يقول :

ـ هل كنت فى هذا الكهف حين هاجمته قواتنا ؟•

ـ كلا •• فقد كنت فى ايبواه •

ـ اذن كيف علمت بأن الكهف قد هوجم ؟•

ـ من خطاب أرسله وولونج الى •• بعد حوالى شهر من وقوع الهجوم ••

ـ ماذا فعلوا بالسلاح الذى استولوا عليه ؟•

ـ حملوا بعضه معهم •• ودفنوا ما تبقى •

ـ أين دفنوه ؟•

ـ أسفل شجرة سرو عالية تقع خلف رابية تمتد على يســار الكهف •

ـ كيف عرفت هذه البيانات ؟•

ـ من خطاب وولونج •

ـ أين مقر وولونج الجديد ؟•

ـ لم يذكره لى فى رسالته •

ـ لماذا لم تسأل حامل الرسالة ؟.

ـ من عاداتنا ألا نسأل أسئلة .. وخاصة اذا كانت عن الرؤساء .

ـ كيف يتم التعارف بينك وبين الرسول ؟.

ـ نستخدم كودا خاصا (كلمات سر متفق عليها) .

ـ كيف ؟..

ـ يأتي الرسول الى متجرى .. ويقول مثلا .. انه يريد شراء خشب ، فأسأله عن نوعه ، فيقول .. أحسن أخشاب الموسم، فأسأله كم قطعة يريد ؟. فيقول .. ثمانين قطعة ، وحين أسأله لماذا يريدها .. يقول انه مقاول بناء . وبعد أن يطلب معاينة الخشب ، أصحبه الى حجرة خلفية فيدلى الى برسالته . والكود هنا هو .. أخشاب الموسم ، وثمانين قطعة ، ومقاول بناء . وطبيعي أن هذا الكود يعدل كل فترة مناسبة ..

ـ من هم رجالك في ايبواه ؟.

ـ آه تنج فقط .

ـ وما دور آه سوب ؟.

ـ انه مساعدى فى المتجر فقط .. ولا صلة له بالمنظمة .. ولا يعرف عنها شيئا .

ـ كيف تحصلون على الورق ؟.

ـ كنت أشتريه من تاجرين من تجار الورق الهنود .

ـ ما اسمهما ؟..

ـ أعرف الأول باسم سيفام .. والثانى باسم كوتوبو .

واخـــذ يراجع هذه الأسماء على البيانات الموجـودة أمامه ، وسمعته يردد الاسمين مطمئنا .. ثم يقول :

ـ هل تستطيع التعرف عليهما .. اذا شاهدتهما ؟..

ـ أعتقد ذلك ..

ـ هل هما أعضاء فى المنظمة .. وهل يشتركان فى توزيع النشرة ؟.

ـ كلا .. وهما لا يعرفان حتى سبب شرائنا هذا الورق .

ثم أمرنى أوكيرو بأن أعيد كتابة كل قصتى التى ذكرتها .. عن تاريخ حياتى ، وعن الزعماء ، وعن المنظمـــة .. فأوضحت له أن هذا العمل يتطلب تركيز الذهن حتى لا أدلى ببيانات مضطربة ويتطلب أيضـــا مسحة من الوقت حتى أستطيع انجازه بصـــورة مرضية ، فوافق على امهالى أربعة أيام .. واســتدار نحو المترجم يلقى اليه بتعليماته . وحين عدت الى حجرتى قدموا الى كل ما أحتاج اليه للكتابة .. ومن بينه عشر قطع من الورق .. كانت مسلسلة الرقم .. موقعة بتوقيـــــع أوكيرو .. مختومة بخاتم المباحث ، وأمرونى بعدم تمزيق أى ورقة منها .. وباعادتها جميعا كما هى .. وعدم كتابة أى مسودات أو بيانات على أى ورقة أو بوسيلة أخرى . فضحكت فى نفسى وأنا أبحث وأتساءل عن هذه الورقـة .. أو هذه الوسيلة الأخرى .. وأين أجدها !.

وعكفت على التقرير أعده ، وأنا أراعى ألا أخرج عما سـبق أن قدمته من بيانات ، وفى الموعد المحدد قدمته الى المترجم .

***

ومضت ثلاثة أيام .. دون أن أدعى الى مقـــابلة أوكيرو أو غيره . وفى اليوم الرابع قدم المترجم يدعونى الى مرافقتـــه .. وخرجت معه .. وكانت المفاجأة الكبرى حين تجاوزنا غرفة أوكيرو

•• واتجهنا نحو غرفة ساكيموتو (رئيس المكتب) ، وحين وقفت امامه نظر الى بوجه عبوس ـ على غير عادته ـ ثم قال :

ـ يؤسفني أنك سلكت طريقا وعرا •• لن تقدر على تحمل نتائجه ، فأنت أعظم من يؤلف القصص الخرافية • خذ مثلا •• رولونج ، وتاما ، وفي سا ، وفوشين ، من يستطيع أن يثبت لى أنهم أحياء ؟• حتى قصة حياتك •• وقصة المنظمة ، ونشأتها •• كيف تثبت صدق ما جاء فيها ؟• كيف تثبت لنا أنك لم تذكر سوى الحقيقة •• وأن ما قلته لم يكن سوى أكاذيب ؟ مطبوخه بعناية ! • انت ثعلب ماكر •• يمزج الحقائق بالأكاذيب بدهاء وخبث بالغ • فقصتك عن الكهف حقيقية ، وقد عثرنا فعلا على الأسلحة المخبأة• وقصتك أيضا عن بائعي الورق صحيحة ، وهما في قبضتنا فعلا •• أما باقي القصص التي كتبتها •• فهي مجموعة منسقة من الأكاذيب ، ولقد أكدت لنا تحرياتنا أن منطقة « كيناتا » ـ بل « بيراك » كلها •• لم يسمع فيها أبدا عن أشخاص بمثل هذه الأسماء الخرافية •• فما قولك ؟••

ـ أؤكد لكم يا سيدى أنني لا أعرف الأسماء الحقيقية ••وهذا اسلوبنا في المعاملة دائما •• خشية أن يعترف أحد الأفراد على الآخرين مضطرا •• أو يرشد عنهم •

ـ مبرر قوى لا شك •• وأوافقك عليه • لقد حاولت أن تتعاون معنا ، وهناك تغير ملموس في موقفك ، وهو تغير ضعيف، وقد يبشر بالخير ، ولكنك ما زلت تخفى عنا أمورا هامة •• وهذا ما لا نريده •• وأنت بهذا لا تخدع سوى نفسك •

ـ أنا لا أخفى عنكم أى شيء •• ولقد ذكرت الحقيقة كلها •

ـ اذن لماذا لم تخبرنا بوجود ضباط انجليز يعملون في المنظمة ؟••

تلقيت هذا السؤال كطعنة خنجر موجهة الى الصدر • فقد أذهلنى أن يعرف أن هناك ضباطا أو عساكر انجليز •• هل هي

خدعة أطلقها ؟. ولكنني عدت بذاكرتي بسرعة الى يوم معركة الكهف ، وتذكرت أن بعض جنودهم كانوا قد تمكنوا من الفرار .. ولا شك أنهم قد أدلوا بتقاريرهم عن المعركة .. وأشاروا الى ما شاهدوه .. أو تعرفوا عليه .. فتمالكت نفسي بسرعة وأنا أجيب:

ـ لم يسألني أحد عنهم قبل الآن ..

ـ الرجل الذي يريد أن يتعاون باخلاص يجب ألا تفوته صغيرة أو كبيرة .. يدلي بها .

ـ انهما مجرد عسكريين .. وليسا ضابطين ، كانا قد فقدا طريقهما أثناء انسحاب وحدتهما . وأنا شخصيا لم أقابلهما .. ولم يذكر لي وولونج أي شيء عنهما .

ـ قصة مضحكة . لقد هاجمتنا قواتكم في منطقة بيراك عشرات المرات ، ودمرت الكثير من المنشآت ، وتكتيكاتكم في القتال لا يمكن أن تكون وليدة خبرة أي فرد منكم ، اذ لا شك أن وراءها عقولا بريطانية .. خططت ودربت ، وليس من المستبعد أن تكون قد اشتركت في هذا العمل ؛ فهل أنت مصمم بعد ذلك .. على أنهما مجرد عسكريين .. وليسا ضابطين .

ـ سيدي يعلم جيدا أن منظمتنا ليست الوحيدة التي تعمل في منطقة بيراك . وهناك غيرنا .. كثيرون ، وأؤكد لسيدي .. أن كلا منا يعمل وحده ، وأنه لا يوجد أبدا ما يربطنا ببعض على الاطلاق .

ـ لا أصدقك .

قالها بهدوء وهو يفتح درج مكتبه ، ويسحب شيئا منه ويقول :

ـ هل تتذكر هذه ؟.

وكانت دهشتي البالغة حين ميزت هذا الشيء .. وكان ساعة

يدى وسوارها ، وازداد اضطرابي وقلقي وأنا أشاهد هذه القرينة الجديدة ضدى ، فلم أملك سوى انكارى لها ٠٠ فابتسم ابتسامة صفراء وهو يرجونى ألا أتعجل الاجابة ، ويطلب مني أن أفحصها بعناية وتدقيق ، وأن أقرأ الاهداء المسجل على ظهرها ٠٠ ففعلت، وبصوت مضطرب قرأت ٠٠:

« الى ل٠ف ٠٠ من ل٠ل٠

بمناسبة العيد الأول مايو ١٩٤١ »

كانت هدية زوجتي لى لان الى ، وكنت أعرفها جيدا ، وأذكر مناسبة اهدائها ٠ وتذكرت أيضا سؤال القائد الذى كان قد وجهه الى تلك الليلة ٠٠ عما اذا كنت اسمى أيضا ليو فو (ل٠ف٠) ٠٠ وبان لى موقفى بجلاء ٠٠ ولكننى تماديت فى الانكار ٠ فابتسم قليلا ، وسحب سروالا رمادى اللون وهو يقول :

ـ كأن هذا السروال مخضبا بالدماء ٠

ـ لم أر هذا السروال قبل اليوم ٠

ـ بكل تأكيد ٠٠ من قال انك رأيته ٠٠ ماذا لو خلعت سروالك الذى ترتديه الآن ، وحاولت أن ترتدى هذا بدلا منه ؟٠

فأطعت فى الحال ، وأنا أحاول أن أتمالك أعصابى ٠٠ وأن أواجه هذه العاصفة بثبات ورباطة جأش ، ولما ارتديته علق قائلا:

ـ يناسبك تماما ٠

ـ بكل تأكيد يا سيدى ، وسيكون مناسبا أيضا لعشرات غيرى من المقيمين بهذا المبنى ٠

ـ جميل جدا ٠٠ لدى شىء آخر أريد أن أطلعك عليه ٠٠ ما رأيك فى هذا القميص الممزق ٠٠ لا بد أن الصراع كان عنيفا !٠

ـ لم أر هذا القميص من قبل ٠

ـ لا يهم ·· ارتده ·· واملأ صدرك ، وانصب قامتك ، حتى يلائمك تماما ·· هكذا ··

كان يتحدث وهو يساعدني على ارتداء القميص ·· وقبل أن أقول شيئا فاجأني بقوله :

ـ كيف تغلبت على ميشياكو ، وكيف تمكنت منه ·· وقتلته ·· هل كان هناك آخرون غيرك ؟··

ـ لم أقتل أحدا من قبل ·· ولا أعرف من هو ميشياكو هذا ··

ـ اذن هل تعرف فاى كو ·· لا تقل انك لم تسمع عنه قبل اليوم ·

ـ فعلا ·· لم أسمع عنه قبل اليوم ·

فتركني واستدار نحو المترجم يصدر اليه تعليماته ، وبعد لحظات فوجئت بالمترجم يعود ومعه فاى كو وزوجته · لم أكن قد التقيت بفاى كو قبل اللحظة ، ولكنى عرفتـه من الوصف الذى سمعته عنه ·· ومن وجود زوجته معه ·· ومن المناسبة التى جاء من أجلها ··

ونظر القائد نحوى قليلا وهو يوجه تعليماته الى المترجم ·· التى نقلها الى فاى كو ·· فتقدم هذا نحوى ·· ودار حولي يفحصني بدقة وعناية · وكان من الطبيعي أن يقرر أنه لم يقابلنى قبل اليوم ·· لأن هذا هو ما حدث فعلا · ثم تقدمت زوجته نحوى ، وفعلت كما فعل زوجها ، ثم أعلنت أنها تراني للمرة الأولى ·· وأنني لست الشخص الذى قدم الى المنزل بصحبة سوزى ·

لم يقتنع القائد بهذه الاجابة ·· وحاول أن يستخلص الحقيقة من هذه المرأة ·· ولكنها صمدت ، وقاومت ، فقد كانت تحاول أن تستر سوزى وأن تبعد عنها الخطر ·

ولما خرجا ـ تابع ساكيموتو أسئلته وهو يقول :

ـ ماذا فعلت مع سوت وان ٠٠ وأين هي الآن ؟٠

وحين تظاهرت بأنني أسمع هذا الاسم للمرة الأولى ٠٠ قال :

ـ لا داعي للتظاهر بأنك لا تعرف سوت وان ٠٠ التي نسميها أيضا سوزى ٠٠

ـ « سوزى » ٠٠ هذا ٠٠ اسم زوجتي سوفا ٠

ـ هكذا !! اذن ٠٠ كيف توضح هذا ؟٠

قالها وهو يخرج مفكرتي التي عثروا عليها في المتجر ، ويقلب صفحاتها ، ثم أمرني بقراءة سطور كان يضع عليها علامة بقلم أحمر ٠٠ فقرأت ٠

« ما زالت خطابات س٠ى٠ منقطعة ٠٠ ماذا جرى لسوزى ؟ »

وهنا تساقط العرق البارد فوق جبيني وأنا أواجه هذه النهاية ٠٠ وأشعر بالمأزق الذى وقعت فيه ٠ وحين عجزت عن الاجابة قال :

ـ أشعر بالدافع الذى يحملك على الدفاع عنها ٠٠ وأعرف أنك تحبها ٠٠ وأنها هي التي أرشدتك الى المنزل وقادتك اليه٠٠ لتقتل ميشياكو ، ونريدك الآن أن ترشدنا الى مكانها ٠٠ فأين هي ؟٠٠

ولم أملك سوى أن أقول :

ـ أقسم يا سيدى ٠٠ انني لا أعرف أين هي الآن ٠٠!

وفي هذه اللحظة دخل أوكيرو ٠٠ ودار حديث بينه وبين ساكيموتو ٠٠ توقعت أن تكون فيه ٠٠ خاتمة حياتي ٠

الفصل العشرون

بقيت أربعة أيام وأربع ليال .. بين يدى أوكيرو وزبانيته.. ولا أستطيع أن أحدد .. كم مرة فقدت فيها رشدى خلال هذه الفترة القصيرة .. وكم مرة حاولوا أن يعيدونى الى رشدى .. ليتابعوا ضربى وتعذيبى حتى أفقد الرشد مرة ثانية . أذكر الجهاز الكهربى اللعين الذى استعملوه معى فى الليلة الأولى .. وكاد أن يقضى على بالصدمات العصبية التى كان يسببها لى ،كلما أداروا مقبضه ، وسرى تياره يهزنى هزا عنيفا ، ويمزق أعصابى تمزيقا ، وأذكر اليوم الثانى .. حين علقونى من قدمى فى سقف الحجرة ، كالذبيحة فى متجر الجزار ، فاندفع الدم يملأ رأسى.. وعينى ، وتوقفت نبضات قلبى أو كادت . وأذكر سياطهم التى انهالت فوق ظهرى وصدرى ، وأنا أركع فوق المسامير والزجاج المكسور ، وكل جزء من جسدى يتمزق ويتحطم .. وأخيرا أذكر اليوم الرابع .. حين قيدونى الى أحد المقاعد ، وكانت يدى اليسرى ممدودة مقيدة على مسند المقعد وأصابعى مفرودة .. حين تقدم أوكيرو يحمل عصا فى يده ، مثبت فى طرفها مسمار رفيع طويل .. أخذ يدفعه تدريجيا فى اصبعى الوسطى بين الجلد والظفر .. وهو يقول :

ـ يا جيرو .. أيها الكلب .. سنقتلك ونقضى عليك .. خطوة .. خطوة .. هكذا .

ويستمر فى دفع المسمار .. وكلما حافظت على صمتى .. كلما ازداد دفعا .. وهو يصرخ ويقول :

ـ أين تختفى هذه الفتاة ؟..

ـ اقتلنى ·· اقض على ·· لا أعرف شيئا عن هذه الفتاة ··!
قلتها وأنا أصرخ ألما وهو يزداد عنفا وضغطا · رباه !·· هل يوجد ما هو أقسى وأعنف من هذا الألم الذى أعانيه !·· هل من سبيل الى الموت ·· يرحمنى من هذا العذاب ، وفجأة أظلمت الدنيا أمامى ·· ولم أعد أشعر بشيء ما بعد ذلك ·

وحين افقت ، وجدتنى أرقد على الأرض فى زنزانتى ·· وكانت ذراعى كلها على درجة من الحساسية ·· تجعلنى أقفز ألما ، اذا لمست أى جزء منها ، وكان أصبعى ·· منتفخا وفى لون الجمرة ··! بل وأشد حمرة ··

ولسبب لا أعرفه ·· تركونى وحدى أربعة أيام أخرى ·· وشعرت فى اليوم الأول بالحمى تكاد تنهش جسدى ، فتناولت أقراص السلفا التى تركها الطبيب معى ، وبهذا استطعت أن أوقف الحمى ·· وأن أزيل آثارها ·· وان بقيت أشعر بالضعف والهزال ··

وفى صباح اليوم الخامس سمعت أصوات أقدامهم متجهة نحو غرفتى ·· فتوقعت المزيد من جرعاتهم ·· وتمنيت أن تكون قاتلة ·· هذه المرة · ومن يدرى ؟ ·· فقد تكون جرعتهم اليوم ·· حمام المعدة ·

ودخل أوكيرو وهو يرمقنى بنظراته الحادة ، ويقذفنى بأقذر ما لديه من ألفاظ ·· ثم أمرنى بأن أنزع ثيابى ·· وهو يناولنى ثيابا أخرى نظيفة لأرتديها ·· وكانت أحسن من ثيابى الممزقة ·· الملطخة بدمى ·· ثم قال :

ـ خائن مثلك يجب أن يشنق

وحين غادرت الغرفة ·· تقدم أحد الجنود وقيد وثاقى وأمرنى بالسير خلف الباقين ، وبدلا من أن يتجهوا بى نحو غرفة «التعذيب» كما توقعت ·· تابعوا السير بى نحو الباب الخارجى حيث كانت

تقف احدى عرباتهم ·· يحيط بها شرذمة من رجالهم · وحين أمرت بالركوب ·· امتثلت وأنا أعتقد أنني في طريقي الى ·· مساحة الاعدام · كنت أشعر بأننى أستقبل الموت في هـذه اللحظة ·· برغبة صادقة ، اذ كنت أرى فيه سبيل الخلاص الوحيد من هـذا العذاب الذى يفوق طاقة احتمال البشر ·· وكنت أعتقد ان في موتى ·· ضمانا لحفظ سر المنظمة ·· وسر العم ليو ·· وسوزى ·· وباقى الأخوان · لهذا كنت أشعر بالراحة ·· والاطمئنان ، وأنا أقول في نفسى ·· انها لحظات قصيرة ·· ينتهى بعـدها كل شيء ·

وحين توقفت العربة ·· كنا قد وصلنا الى المـدينة ·· في وسط سوقها التجارى ، فتعجبت لاختيارهم هـذا الميدان بالذات دون غـيره · مكانا ينتهون فيه منى · هـل أرادوا أن يجعلونى عبرة لغيرى ؟ ·· وأين يرانى كل غاد ورائح ! ·· حتى لا يجرؤ مخلوق بعد اليوم على مقاومتهم ·· ثم تحديهم بالاصرار والعناد· وبقيت أردد في قرارة نفسى ·· أننى سأواجه الموت بشجاعة ، لأحفظ تقدير ·· لى لان ·· وسوزى ·· وحبهما لى ·

وهناك قيدونى الى عمود من الأسمنت ·· كان مقاما في وسط الميدان · وتجمع القوم حولى من كل مكان · وكان رجال الشرطة يحولون بينهم وبين الوصول الى حيث أقف · وبعد لحظات قاموا بوضع عدد من اللافتات حول المكان الذى أقف فيه ، مكتوبا عليها بخط صينى أو مالايى كبير ·· الاتهام الموجه الى ·· والحكم الصادر ضدى ·· والموعد المحدد للتنفيذ ·· وكان بعد يومين · كما كان المترجمون والمنادون يقرأون هذا الاعلان بصوت عال يصـل الى أسماع الجميع ·· مرة كل نصف ساعة ·

وكان الاتهام الموجه الى ·· والمصير الذى أترقبه ·· والحـالة المزرية التى كنت أبدو بها ، ورغم الثياب النظيفة التى ارادوا أن ارتديها ·· وأنا أبدو فيها كالشبح بين الأحياء ·· كانت هذه كلها

من العوامل التى حملت القوم على الوقوف حولى .. وامعانهم فى النظر الى .. وتبادل الحديث .. عنى ، ولم أكن فى حالة تسمح لى بالتعرف على مشاعرهم نحوى .

وبقيت فى موقفى هذا ثلاث ساعات ، أمر أوكيرو بعدها باعادتى الى سجن المدينة . وفى اليوم التالى .. عادوا بى الى نفس المكان .. وقاموا بنفس العرض .. وتجمع الشعب حولى كتجمعه بالأمس .. وساد المكان سكون وهدوء أشعرانى بالحالة النفسية التى كان هذا الشعب يعانيها .. اليوم ، ان الناس وقد أدركوا الحقيقة .. بدأوا يرثون لحالى .. ويعطفون على .. بالرغم من عملاء المباحث الجنائية المنتشرين بينهم ..

ولفت نظرى شخص ما .. يقف بين الجموع الحاشدة .. وجه لم يكن غريبا على .. تابعته كثيرا بنظرى .. وحاولت أن أتحقق من شخصيته .. وبعد جهد ميزت فيه آه كيوى ، وكان يتنكر في شكل سائق عربة ريكشى ، ولكن تنكره هذا .. لم يخف طابعه الذى أعرفه جيدا ، فأخذت أتابعه وهو يأخذ طريقه بين أفراد الشعب الواقف حولى .. الى أن وقف خلف رجل يبدو فى مظهره كراهب بوذى عجوز ، حليق الرأس ، يضع منظارا يتدلى فوق أنفه، وأخذت أنقل نظرى بين آه كيوى ..وبين هذا البوذى .. وأنا أحاول أن أربط بينهما . وقادنى تفكيرى العميق الى الظن .. فاليقين .. من أن هذا الراهب .. ما هو الا العم ليو .. وحين تبينا أننى قد تعرفت عليهما .. غادرا المكان واختفيا عن الأنظار .. وأنا أسأل الله أن يكتب لهما السلامة والنجاة من الوقوع بين أيدى هؤلاء الزبانية ..

وحين انتهى عرض هذا اليوم ، أمر أوكيرو باعادتى الى السجن .. وفى طريقي الى العربة .. لمحت هاليسمات أيضا .. وكان يتظاهر بتناول قدح من الشاى فى مشرب قريب من مكان وقوف العربة ..

أعادت أحداث هذا اليوم •• الثقة الى نفسى ، وأنا أرى قومى يلتفون حولى فى أعصب ساعات حياتى •• ليؤكدوا لى أننى لست وحدى •• وأنهم معى •• وحولى ••• فاستبشرت من ذلك خيرا •• واطمأننت نفسا ••

وفى طريقى الى داخل السجن كان أوكيرو يرافقنى ـ ليصدر تعليماته المشـــددة ـ بنفسه ـ للاهتمام بحراســـتى ، والتحفظ على انتظارا لليوم الموعود ـ حين دق جرس التليفون فى مكتب مأمور السجن ، ودار حديث بين المأمور والطرف الثانى ، ثم نادى المأمور أوكيرو للرد على قائد المنطقة ، فأسرع هذا يلبى النداء ، وفى صوته احترام وخضوع •• وحين انتهى الحديث أسرع يدعو رجاله جميعا •• حتى من كان قد عينهم لحراستى •• وكان يصرخ ويلعن الخونة الذين تجرأوا وفعلوا ما فعلوا !! ثم ركب الجميع عرباتهم •• وغادروا السجن مسرعين ، ولم يبق فيه سوى المأمور •• وعدد من الحراس •• يقل عددهم عن عـــدد أصابع اليـــد الواحـــدة ••

ولم تمض لحظات حتى سمعت بوق عربة تدخل باب السجن الخارجى •• ثم تقف أمام بابه الرئيسى •• وبعد لحظات سمعت أصوات أقدام تدق طرقات السجن وتتقدم نحو مكتب المأمور •••، ثم ساد ســكون ••• قطعه دخول المأمور ومرافقيه القــادمين •• الى حيث أقيم ـ وبعد أن قيدوا وثاقى ـ صحبونى الى العربة التى قدموا فيها •• وتحركت العربة مبتعدة بنا عن السجن •• !

***

ومضت العربة فى طريقها ، وحين وصلنا الى مشارف المـدينة •• شعرت بيد تمتـــد من خلفى وتربت على كتفى •• وسمعت صـــوتا تبينت فيه صوت ونج‌تى وهو يقول بصوت هادىء حنون هز مشاعرى :

ـ ليو فونج •• انحن للأمام قليلا حتى افك وثاقك

فاستدرت الى الخلف منهولا مأخوذا •• لا أصدق ما سمعته أذناى ، وكم كانت فرحتى وأنا أجد ونج‌تى يجلس فى المقعد الخلفى للعربة •• والى جواره العم ليو وهو يبتسم ابتسامته العذبة ••. فصحت أناديهما •• والفرحة تملأ نفسى •• وأنا لا أتصور ••. كيف أننى من لحظات قليـــلة كنت لا أطيق مجرد سماع صوتها حين كنت أحسبهما من رجال الشرطة الملعونين ••

وأشار العم ليو الى السائق وهو يقول :

ـ هل تعرف من هذا •• ؟

لقد كان ليك بى ! •• وبعد لحظات صحت •• أتساءل :

ـ كيف فعلتم هذا ؟ •• وأين سوزى •• كيف حالهـا •• ماذا حدث لها •• هل هى بخير ؟

فأجابنى العم ليو قائلا :

ـ انها بخير •• وهى تنتظرك فى المعسكر • وسنخبرك كيف خدعناهم •• وستعلم كم هم أغبياء بلهاء ! •• وستسمع فيما بعد كيف تلقى أوكيرو و •• القـائد •• الصـــدمة •• حين يعلمان بهروبك •• وكيف كان تصرفهم •• مع المأمور •• ! ستعلم كل شىء •• فيما بعد •• أما الآن يابنى •• فعليك بالهدوء •

ومضت ساعتان •• قبل أن نصل الى حافة الغابة التى يقـع المعسكر فى وسطها •• وتركنا العربة فى مكان أمين • وكان من الواضح أننى لن أستطيع السير معهم بين مسالك الغابة الوعرة ••. وسرعان ما أحضروا محفة حملونى عليها •• وتقدموا بى وســط الدروب والمسالك الوعرة •• يتحسسون خطاهم •• حتى وصلنا الى المعسكر •

***

كان ونج‌تي قـــد تقمص شـخصية قائد المنطقة واسـتدعى أوكيرو على التليفون ‥ حين وصوله الى السجن ، وأمره بالقيام فورا ومعه كل قوة يستطيع جمعها والتحرك بها حالا الى سيروكي ـ على بعد ثلاث ساعات بالسيارة ـ ليقدم نفسه الى الكولونيـل كيلوما ، وليشترك معه في مطاردة عصابة من الخونة أبادت داورية يابانية ودمرت مستودعا كبيرا للذخيرة ‥ وذلك قبل أن ينجح كيلوما في حصارها والحد من نشاطها ‥ بعد أن اعتصمت وسط غابات سيروكي ‥ !

وحين امتثل أوكيرو لهذه التعليمات ، وبعد أن تأكد ونج تي من مغادرته السجن والمدينة ، قدم ونج‌تي ورفاقه الى السجن ، يحملون للمأمور أمرا معتمدا من قائد المنطقة وممهورا بخاتمه ! ‥ لتسليم المسجون ليو فونج الى حامل الرسالة الرقيب-شاي كولي ‥ حيث أنه مطلوب للتحقيق معه في حادث اكتشف أخيرا !

وكانت المجموعة قد أجادت التنكر في زى الجنود اليابانيين ‥ ولم يجد المأمور ما يثير شكوكه وشبهاته ‥ فامتثـــل للأمر الصادر اليه ‥ بعد أن وقع ضابط الصف ، قائد الحرس ، في سجلات السجن الرسمية ‥ بما يفيد استـــلامه المسجون ‥ وانتقال مسئولية حراسته اليه ‥

الفصل الحادى والعشرون

في خلال الأسابيع القليلة التى تلت وصولى الى المعسكر ‥ كنت أقضي فترة نقاهة أسترد فيها قوتي ، وكانت حالة أصبعي هي التى أطالت هذه الفترة .

وفي ساعة متأخرة ‥ ذات مساء من أمسيات الربيع الجميلة ‥ وصلت الى أسماعنا أصوات محركات قوية لطائرة كانت تمرق

فوق رءوسنا ، وتمزق السكون الذى كان يحيط بنا . كنا على يقين من أنها لم تكن طائرة يابانية ، فقد شاهدها بعض الأفراد وقالوا انها كانت من الطائرات الضخمة ـ ذات المحركات الأربعة ـ وانهم شاهدوها بجلاء في ضوء القمر الساطع ، وانهم لم يشاهدوا مثلها من قبل بين الطائرات اليابانية التى تعمل فى سمائنا دائما ..

وكان شعورنا جميعا .. ونحن نناقش هذا الذى رأيناه ونتائجه المرتقبة .. ان مياه البحر قد اخذت تنحسر .. وأن المد قد آن له .. ان يأخذ طريقه .

واقترح كولو أن نحاول لفت أنظار هذه الطـائرة اذا عادت للمرور فوقنا فى الليلة القادمة ، باستخدام المشعل الكهربى فى تبادل اشارات المورس مع طاقم الطائرة . واذا عبرت الطائرة .. دون أن تتبين اشاراتنا .. تابعنا محاولاتنا .. ليلة بعد أخرى .. الى أن ننجح . وحين تكتشف الطائرة موقعنا .. فلا شك فى أنها ستبلغ قيادتها عنه .. وقد نتلقى منها الامدادات .. من معـدات وأسـلحة ...

وهكذا قررنا بدء الاستعداد .. وفى تفكيرنا أننا اذا لم ننجح .. فلن نخسر شيئا .

ومضت الليلة الأولى .. وتلتها الثانية .. فالثالثة .. دون أن نحقق أى نجاح .. وكان من الواضح أن وسيلتنا هذه للفت نظر الطائرة .. كانت أضعف من أن تحقق الغرض المطلوب . وعلى ذلك فقد قررنا أن نضع ما يشبه مواقد الفحم .. فى أماكن معينـة حول المعسكر ، راعينا فى اختيـارها أن تكون عالية .. مستورة عن رؤية العين المتطفلة . التى قد تحاول التجسس علينا ، وقد أعددنا فى كل موقد كمية من الحطب .. والكيروسين ، وعينا شخصا مسئولا عن كل موقع .. يشعل الموقد بمجرد صـدور اشارة متفق عليها ..

وكان عدد آخر من الأفراد ـ يحمل كل منهم مصباح عاصفة يقفون وسط الموقع بحيث يشكلون كلمة « فدائيون » •• حين تضاء مصابيحهم •• وعينا ليك بى لمتابعة الموقف واصدار الاشارة الى حكمدارى الأطقم والأفراد حاملى المصابيح •• ليشعلوا نيرانهم فى الحال •• وقت الحاجة ••

ومضت ليلة •• وأخرى •• وكنا كلنا عيونا ساهرة يقظة •• ولكن الطائرة لم تظهر فوقنا •• ثم تغير الجو فجأة •• وانتشرت السحب الكثيفة •• وسقطت الأمطار الغزيرة •• ولم يصف الجو خلال ثلاثة أيام متوالية • وفى مساء الليلة الرابعة •• بعد أن صفا الجو وعاد الى طبيعته الجميلة •• سمعنا أزيز المحركات الضخمة يقترب منا •• فتعالت أصواتنا فرحا •• ولهفة •

وفى الحال أصدر ليك بى الاشارة •• واشتعلت النيران •• ومرقت الطائرة فوقنا •• صوت محركاتها يعلو صياح الأفراد وهم يهللون •• ويرقصون • وفى ثوان كانت قد اختفت عنا تماما ، فأصابنا اليأس ، وحل بنا الضيق ، وبدأنا نراجع خطتنا • ونبحث عما عسى أن يكون فيها من خطأ أو ضعف .. وفجأة سمعنا أزيز الطائرة يعود .. ثم رأيناها تدور فوقنا فى دائرة تحاول أن تجعلها صغيرة •• ثم تابعت دورتها مرة ثانية •• وثالثة •• ثم أضاءت مصباحها الكاشف عدة مرات متوالية •• ثم انطلقت مبتعـــدة ، وقلوبنا تتابعها •• !

وفى الحال أسرعنا نطفىء النيران والمصابيح •• ونحن نتوقع أن تفاجئنا طائرة مطاردة يابانية •• أو أكثر

وفى الليلة التالية أخذنا اهبتنا ايضا .. وحين عادت الطائرة •• أشعلنا المواقد • ودارت الطائرة حولنا بضع مرات ـ كما فعلت

بالأمس ـ ثم أسقطت جسما كان يبدو أسود اللون ٠٠ ثم ابتعدت مسرعـــة ٠

وأخذ الجسم الساقط يتأرجح في السماء ، بعـد أن انفتحت المظلة التي كانت تحمله ، وتابعناه بعناية لنحدد مكان سقوطه ، وتعالى صياح رجالنا ٠٠ وهم يتابعونه الى أن وصل الى الأرض في المنطقة الشرقية من المعسكر ـ وحين وصلنا اليه ٠٠ كان رجالنا قد سبقونا ، وأحاطوا به في دائرة كبيرة وهم ينظرون اليه في دهشة ٠٠ وبشر ٠٠ وأمل ٠ وأخذ ونج تي والعم ليو يتفحصانه ٠٠ كان هذا الجسم صندوقا اسطواني الشكل مصنوعا من المعدن الخفيف ، طوله حوالى ستة أقدام وقطره حوالى ثلاثة أقدام ، وكان بداخله أربعة وعشرون رشاشا قصيرا واثنا عشر صندوقا من الذخيرة ، وحقيبة من النسيج بها بعض الأدوات الطبية والعقاقير والأدوية ٠٠ وصنـــدوق متوســط الحجم من الورق المقوى به بعض الأطعمة المحفوظة ٠٠

وفي وسط هذه اللحظات المثيرة التي كنا نعيشها ٠٠ وصلت الى أسماعنا أصوات محركات طائرة ٠٠ أصغينا اليها ٠٠ وكانت أقل قوة من سابقتها ، وأضعف صوتا ، وحين ميزناها بجلاء ٠٠ تبينا أنها كانت من الطائرات اليابانية المطاردة ذات المحركين ، وكانت محاولتنا لتدارك الموقف الخطير ٠٠ قد جاءت متأخرة ، فقد أنستنا لهفتنا ٠٠ أن نطفيء المواقد كما فعلنا في الليلة الماضية ٠٠ وحين أسرعنا نحوها لنتدارك الأمر ، كانت الطائرة الجـديدة قد تعرفت علي موقعنا ٠٠ وميزته تماما ، مستخدمة المشـــاعل المضيئة التي تسقط محمولة بالمظلات ٠٠ فتضيء كل ما تحتها ٠٠ وتصبح الرؤية ٠٠ كما لو كانت في وضح النهار ٠

وقبل ظهر اليوم التالى ـ ظهرت في سمائنا طائرة يابانيـة أخرى أخذت تدور ٠٠ وتدور ٠٠ حولنا ٠٠ تستطلع المنطقة وتحدد معالمها ٠٠ ثم ابتعدت ٠ وحوالى الساعة الثالثة عادت طائرة أخرى

وبقيت تحوم حولنا فترة طويلة أيضا .. ثم ابتعدت . وحينئذ قررنا ألا نعود الى اشعال النيران هذه الليلة .. وأن نبقى متيقظين .. على حذر .. لنواجه ما قد تحمله الينا الساعات القادمة .. !!

واستمر نشاط الطائرات اليابانية فوقنا خلال اليومين التاليين .. وكانت تحوم فوقنا فى ساعات متفرقة من النهار والليل .. الأمر الذى أكد لنا نياتهم القادمة .. فاجتمعنا فى شكل مجلس حرب .. نتدارس الأمر ونضع خطتنا لمواجهة الموقف القادم ..

كانت طبيعة المنطقة التى يقع فيها المعسكر تجعلنا نسيطر تماما على معظم الطرق الصالحة المؤدية الينا .. وكان ما تبقى من الطرق لا يصلح لتحرك الحملات الميكانيكية . فقد كانت المنحدرات المحيطة بالمعسكر فى الشمال والشرق والغرب ، ذات ميول حادة جدا .. كما كانت الغابات الكثيفة تحد من الحركة حولنا . وكان الطريق المؤدى الى الركن الشمالى الغربى للمعسكر ضيقا متعرجا ، لا يصلح لأى قوات ميكانيكية ، ولا يسمح للقوات الكبيرة المترجلة بالمرور منه الا فى شكل قطار طويل ممتد كالخيط الرفيع الذى يسهل تمزيقه ، ولم يبق سوى المنطقة الجنوبية للمعسكر . وكنا نتوقع أن يكون هجوم العدو علينا من اتجاهى الجنوب الغربى أو الجنوب الشرقى .. أو من كليهما . وكانت قواتنا قد أجرت الكثير من التجارب للتدريب على الدفاع عن المحورين بكفاءة ونجاح .. طبقا لخطة كانت موضوعة من قبل ، روعى فيها توافر العمق اللازم للدفاع .. حتى يواجه العدو أكثر من موقع واحد ، فاذا نجح فى اختراق الموقع الأول ، فعليه أن يقاتل ثانية ليستولى على الموقع الثانى .. ثم الثالث .. وهكذا حتى تخور قواه ، وحتى تتوفر للمدافعين الفرصة لضربة مضادة يقومون بها .. لتحد من تقدم المهاجم ، وتفقده ما عسى أن يكون قد حققه من خطوات .

وتحددت الاختصاصات .. والواجبات .. لكل فرد منا .

فكل منا مسئول عن قطاع •• أو واجب •• أو عمل معين يقوم به •
ولحسن الحظ كانت منطقتنا لا تصلح لاستخدام الدبابات أو المعدات الثقيلة ، بما في ذلك المدفعية ، وكانت القوة العددية المتفوقة •• هي ميزتهم الوحيدة ، وكانت خبرتنا الكاملة بطبيعة الأرض حولنا •• هي سلاحنا الماضي المضاد الذي نستطيع استغلاله بنجاح •

وانقطعت الطائرات اليابانية عن زيارتنا ثلاثة أيام متوالية • وفي الصباح الباكر لليوم التاسع من مايو •• عادت الى نشاطها فوقنا من جديد • وكانت هذه هي المرة الأولى التي تظهر فيها في مثل هذا الوقت المبكر •• مما أكد لنا •• أن هذا اليوم •• هو موعدهم معنا •• !

وبعد ساعة وصلنا انذار عناصرنا التي كنا قد دفعناها الى الأمام للانذار المبكر ، وبعد قليل سمعنا أصوات طلقات أسلحتهم حين فتحوا نيرانهم على الأهداف الصورية التي كنا وضعناها في طريقهم للخداع والتضليل •• ولاستنفاد ذخيرتهم ••

كنت على رأس قوة من رجالنا •• نختبيء في منطقة تقطع الطريق على القادمين من اتجاه الجنوب الشرقي ، وكنت أراقبهم بمنظاري وأراهم وهم يتقدمون ببطء وحذر ، ويفتشون كل شبر من الأرض بعناية ودقة •• خشية أن يكون بعضنا مختبئا فوق رءوس الأشجار أو بين الأعشاب العالية •

وكان العم ليو على رأس قوة أخرى مماثلة تسيطر على من يتقدم من اتجاه الجنوب الغربي •

وقد تابعت القوات اليابانية تقدمها •• ومرت أمامنـــا •• ونحن نحبس أنفاسنا في موقعنا العمودي عليها • وحين وصلت قوات العدو الى مسافة قصيرة من موقعنا الأمامي •• تحركت بجزء من قواتي أقطع عليها خط الرجعة • ودار القتال عنيفا بيننا • وبين العدو ، وحين حاول التراجع لينظم نفسه قبـــل أن يعاود

الهجوم مرة ثانية .. كان الطريق قـد أغلق دونه .. فسقطت القوة جميعها بين قتيل .. وجريح ..

وكانت فرحتي البالغة أن أجد الرقيب أوكيرو وثلاثة من رجاله الذين ساموني العذاب ألوانا .. بين هؤلاء الجرحى ، فـكانت فرصتي التي لا تقدر .. لأرد لهم صنيعهم . ولكن ظروف المعركة حملتني على تركهم .. الى حين .. بعد أن أمرت بالتحفظ عليهم .. حتى ينجلي الموقف .. ويتيسر الوقت للحساب .. !

وقبل الظهر بقليل ظهرت ثلاث طائرات أخذت تحوم فوقنا على ارتفاع منخفض .. ثم أخذت تمطر المعسكر وما حوله بنيران رشاشاتها وقنابلها الحارقة المدمرة .. في الوقت الذي أخـذت فيه قوة أخرى جديدة ، تتقدم نحونا متخذة طريقها من اتجـاه الجنوب الغربي . وقبل ثلاث ساعات كانت هذه القوة أيضـا قد لاقت مصير سابقتها .. ولكننا كنا قد منينا بخسائر شـديدة في الأفراد والمباني .. كان من بينها مخزن المؤن ، وجانب من المستشفى الصغير الذي كنا قد أقمناه .. وجهزناه بمـا توافر لدينا من معدات قليلة ..

وحين خبت نار الأتون قليلا .. أخذنا نبحث عن جرحانا .. وقدمنا لهم ما نستطيعه من رعاية ، ثم جمعنا شهداءنا وواريناهم التراب بما يليق بهم من تجلة واحترام . ولما جمعنا قتلى العدو وضعناهم في حفرة واحدة كبيرة وأهلنا عليها التراب .

ثم تذكرت أوكيرو .. أسيري المبجل .. فأسرعت اليه .. وكانت الصدمة التي أفقدتني صوابي أن أجده هو ورفاقه الثلاثة يرقدون وسط بركة من الدماء .. وعلى صدر أوكيرو ورقة صغيرة بها بضعة سطور تقول :

« الى قادتي المحترمين » ..

أرجو أن تتقبلوا أسفي العميق على ما فعلت ·· فقد أقسمت على قبر زوجتي وأبنائي أن انتقم لمصرعهم بالدماء . وحين وفرت لي السماء هذه الفرصة السعيدة الذهبية ·· لم أتردد في الانتفاع بهـا ·· ولو لم أفعـــل ·· لبقيت طريد أرواح شهدائي ، فأنا لا أستطيع أن أرى أي ياباني ·· دون أن أزهق روحه · وحـــين تنبهت الى نفسي ، وشعرت بمخالفتي لتعليماتكم بالتحفظ على هؤلاء الأسرى أحياء ·· لم أستطع البقاء ·· وضعفت عن مواجهتكم ·· وأنا اذ أغادركم مبتعـــداً عن اخواني الذين عشت معهم هذه الأيام العصيبة ·· وشاركتهم الأمل في الانتقام ·· أعاهدكم ·· أمام الله ·· أنني لن أنثني عن قتال هؤلاء الوحوش ·· حتى النصر الأخير ·· أو الموت ··.

لي كوي ··

لم تكن رسالة لي كوي هي المفاجأة الوحيدة التي أذهلتني ·· فقد تبينت بعد ذلك أن خسائرنا كانت جسيمة في الأرواح ·· وأن العم ليـو ، وكولو ، وسك كي ، وهاليسمات ، وكابيتو ، وآه بن ·· كانوا على رأس قائمة الشهداء الذين بلغ عددهم خمسة وسبعين قتيلا · وأن سوزى قد أصيبت هي أيضا أثناء غارات الطائرات ·· وأن اصابتها شديدة فوق القلب بقليل وفي مفصل الكتف الأيمن · وأن عدد الجرحى من رجالنا بلغ المـــائة بينما بلغت خسائر العدو مائتين وأربعين ·· من مختلف الرتب ··

***

لقد حققنا نصرا عظيما ·· ولكن الثمن الذي دفعنـــاه ·· كان غاليا ··.

الفصل الثاني والعشرون

ودعا ونج‌تى الى اجتماع للقادة •• لنتدارس الموقف الجديد •• ولنتخذ مايتطلبه الأمر من اجراءات لمواجهة الاحتمالات المنتظرة •

ودار نقاش طويل وتبودلت آراء مختلفة ، فكان من رأى وى كيوى ضرورة مغادرة هذه المنطقة فى الليل •• وقبل بزوغ فجر الغد . كان يشعر بأن القيادة اليابانية لن تسكت على هذه الهزيمة التى حلت بها ، وهزت كيانها ، ولا بد أنهم سيعاودون الكرة •• مرة أخرى •• وثانية •• وثالثة •• اذا تطلب الأمر ، وسيحشدون كل قواهم ، ويكتلون كل جهودهم •• حتى يحققوا نصرا يعيد اليهم الاعتبار الذى فقدوه • وأيد موك ما هذا الرأى وأضاف بأن قواتنا ـ بعد الخسائر الجسيمة التى حلت بها •• قد أصبحت لا تستطيع الصمود طويلا أمام هذا العدو ، الذى سيضاعف من قواته ، ويؤازرها بعديد من الطائرات •• وأجمع الجميع على ضرورة الاخلاء •• وفى الحال • وحين حل دورى فى الحديث وابداء الرأى •• كنت أفكر فى جرحانا •• وكيف ننقلهم •• والى أين ؟ •• ولكننى كنت ولا شك أؤيد الرأى القائل بالانسحاب •• ولم يكن أمامى •• بل لم يكن أمامنا جميعا •• سوى هذا الحل •

وعلى ذلك اتخذنا قرار انسحابنا الى منطقة أخرى تقع خلفنا بحوالى خمسة أميال ، كان قد سبق اختيارها لمثل هذا الظرف •• وكان هذا أصعب قرار اتخذناه فى حياة المنظمة ، فقد كان هذا المعسكر ـ رمز كفاحنا ـ وكان يمثل فى حياتنا الكثير •• اذ كان بالنسبة لنا كالابن •• وكانت الهجرة منه أشبه بحكم الاعدام يصدره الأب على ابنه !!

لقد كان من المتعذر أن ننقل جرحانا •• وكل ما نملك من ذخائر ومهمات في خلال ساعات الليل المحدودة • وكان أن قررنا اعطاء أسبقية خاصة لنقل الجرحى والأسلحة والذخيرة والمهمات الطبية • بحيث يتم نقلها قبل شروق الشمس •• على أن نترك قوة صغيرة - من ستة أفراد لحراسة ما سيتبقى في المعسكر حتى يتم نقله فى الليلة التالية • وفى الحال قمنا باعداد المحفات اللازمة لنقل الجرحى •• وحزمنا الذخيرة فى ربظ خاصة يسهل حملها •• ثم بدأنا السير ••

***

كان واجبنا الأول - فى المعسكر الجديد - أن نرعى جرحانا وأن نوفر لهم كل ما نستطيع من عـلاج ورعاية . وكان نارابى ، أحد المتطوعين الهنود ، يقوم بأعمال الطبيب فى حدود ما توافر له من خبرة سابقة - وكانت كبيرة والحمد لله - وبقدر ما تيسر لنا من معـدات •• وأدوات •• ودواء •• ، بدأ نارابى عمـله فى الحال ••

كانت سوزى تقاوم الألم بشجاعة وصبر •• وكانت تكتم عنى ماتقاسيه - وتجيبنى حين أسألها - بأنها تشعر بتحسن كبـير وبأن الألم قد بدأ يزول تدريجيا ••

كانت اصابتها كما علمت من نارابى ، تحتاج الى جراحة كبيرة •• لا خبـره له بها وحتى لو حاول .. فان ما لديه من أدوات لا يصلح •• ولا يكفى •• والمكان أيضا ، لا يقبل طبيب أن يزاول فيه مثل هذه الجراحة • كان الحل الوحيد أن تنقل سوزى الى الى المدينة •• حيث المستشفى •• والطبيب القدير • وقد كنت أؤيد هـذا الحل بـكل قواى - رغم ما فيه من خطورة بالغة - على سوزى •• وعلينا جميعا • كنت أشعر بأن نهاية الطغيان •• قـد بدأت تتبلور •• وتقترب •• وأنها مسـألة وقت لا يمكن أن يطول • وكان فى تقديرى أيضا أن حالة سوزى وعلاجها ••

سيكونان فى المرتبة الأولى لدى سلطات الاحتلال •• وأنهم لن يقدموا على شيء معهـــا قبـل أن يتم شفاؤها •• وأنها بحياتها وصحتها •• أثمن وأغلى لديهم •• منها وهى هيكل محطم • ولما كانت الجراحة وفترة العلاج والنقاهة ستستغرق وقتا أيضا •• فلا شك أن فرصة السلامة أمامها •• ستكون كبيرة •

وعرضت الفكرة على سـوزى •• وونج تى •• ونارابى •• ووى كيوى •• فأيدوها جميعا •• ما عدا سوزى •• التى بكت وثارت وهى ترفض باصرار وعناد •• حتى خشينا عليهـــا من المضاعفات • كانت ترحب بالعذاب •• وبالموت •• وهى بيننا • ولا تقبل أى محاولة للعلاج وهى بعيدة عنا • كانت تخشى أن تعجز عن المقاومة ـ وهى فى ضعفها هذا ـ فتبوح بما يكشف أمرنا وأمر المنظمة •• بعد أن شاركتنا كل هذا الكفاح الطويل ••

كانت تعيش على حقن المورفين المسكنة •• فلا علاج آخر لدينا نستطيع أن نقدمه اليها • وكانت فى بادىء الأمر تأخذ حقنة واحدة كل خمس ساعات •• ثم أصبحت حقنتين •• وبمـــرور الوقت زادت الكمية • وقل الوقت بين الجرعة والثانية •• ثم أخذت حرارة الجسم ترتفع •• يوما بعد يوم •• ثم ساعة بعد أخرى •• وحالة الجراح تزداد سوءا •

كانت رغبتها القوية فى الحياة •• هى العامل الوحيد الذى يقاوم المرض •

***

استغرق العمل فى اخلاء المعسكر ثلاثة أيام •• وكانت القوات اليابانية وطائراتها قد انقطعت عن أى نشـاط •• كما لو كانت توفر لنا الوقت والفرصة لنبتعد عنها بعيدا بكل ما نملك ••

وفى صباح اليـــوم الرابع •• وقبل أن يذهب رجالنـــا الى المعسكر •• ظهرت الطائرات اليابانية فى السماء •• وأخذت تمطر

المعسكر وما حوله بقنابلها فأتت على كل ما فيه ، وفي أقل من ساعة .. ظهرت القوات اليابانية وأحاطت بالمعسكر لتقطع خط الرجعة على من فيه .. ثم تقدمت الى المعسكر .. لتجده خاليا .. خاويا ..!

***

كنا نتابع حالة سوزي وقد أخذت تتدهور ، بغير ما أمل في شفاء .. الا بمعجزة من عند الله . كانت تقول انها لن تموت .. لأنها تريد الحياة .. لتنعم بالنصر . كانت تبذل كل ما تبقى لها من طاقة وجهد .. لتبدو مرحة مستبشرة ، ولتتغلب على الصفرة التي بدأت تغزو وجهها .. لقد كانت قدوة طيبة لغيرها من الجرحى .. الذين تعذر علاجهم أيضا .. أو طال ..

وذات صباح ، وكنت قد قضيت الليل بطوله أجلس الى جوارها ، سألتني لماذا يصعب على المرء أن يستقبل الموت .. بترحاب ..؟ كانت قد بدأت تفكر فيه .. وتستعد له ، رغم أنها كانت تقاوم الفكرة .. وترجو الحياة .. كانت تأمل في فرصة للشفاء .. ولكنها اليوم .. وهي ترى أنها لا تتقدم ، ولا تبدو لها بارقة أمل في الشفاء .. فانها تعتقد أن العلاج الوحيد الباقي أمامها .. هو التخلص من آلامها هذه .. بالموت !

ومن هذه اللحظة .. بدأت تتابع نارابي بالرجاء ، وتلح عليه، أن يعمل .. بسرعة .. لتصل الى النهاية ..! كما كانت ترجوني، وهي تكاد تجثو أمامي .. أن أعالج آلامها .. بطلقة واحدة !!

وفي الليلة الأخيرة .. استغرقت في رقاد طويل ، وكنت كعادتي ألازم فراشها طول الوقت .. وقبل الفجر بقليل .. استيقظت .. وحين رأتني أجلس الى جوارها ابتسمت وهي تعتذر عما تسببه لي من اجهاد وتعب ..



تم رجتني أن أحضر لها حقيبتها الصـــغيرة ، ففعلت •• ثم فتحتها وتناولت خاتما ذهبيا محلى بقطعة كبيرة من الماس المصقول •• ورجتني أن أقترب منها وهي تقول :

ـ أهداني والدى هذا الخاتم •• لأقدمه الى الرجل الذى يقع عليه اختيارى •• وطوال السنوات الأربع التى احتفظت فيها بهذا الخاتم •• لم أجد سواك يا ليو •• أهلا له ••

ثم وضعت الخاتم فى اصبع يدى اليسرى وهى تقول :

ـ هل تعدنى يا ليو •• ألا تخلع هـــذا الخاتم بأى حال ؟••

لم أنطق بكلمة واحدة •• فقد كانت دموعى خير شاهد على شعورى وحبى •• وانحنيت أقبلها •• وأربت على يديهـــا •• وبقيت ساكنا الى جوارها •• حتى أقبل نارابى ونج تى •• فأعلنت لهما ـ على مسمع منها ـ أننا قد ارتبطنا أمام الله •• برباط الزواج المقدس •

وقبل فجر اليوم التالى بقليل •• كانت سوزى قـــد أسلمت الروح ••!!

الفصل الثالث والعشرون

أدهشنا أن نرى لى كوى يصل الى معسكرنا الجديد وبرفقته ثلاثة آخرون ـ علمنا فيما بعد أنهم من منظمة « الدراجون الأسود » .. وهى منظمة تمارس نشاطها فى المناطق الجنوبية ، وتقـاوم قوات الاحتلال بنشاط وعنف ، وكان لى كوى .. قد انضم اليهـا بعد أن هجرنا ..

ولما قدم لى كوى نفسه لنا .. بدأ بالاعتذار عن فعلته الشنعاء، موضحا الحالة النفسية التى كان عليها وهو يرى هؤلاء الأسرى .. فلم يتمالك نفسه .. وفعل ما فعل . ثم قال انه قدم اليوم ليسلم نفسه الينا ، وليتحمل ما يوقعه عليه قادته من جزاء . ولما سألناه عن مرافقيه هؤلاء .. أجاب بأنهم حين علموا وجهتـه ، رأوا أن يرافقوه ليقابلوا رؤساء منظمتنا .. فى محاولة لتوحيد الجهود .

واجتمعنا وحدنا فى شكل مجلس حربى .. وناقشنا الموقف قبل أن نسمح للى كوى أو مرافقيه بالاشتراك فى الاجتماع ،وكان قرارنا بالاجماع أن ما فعله لى كوى .. وان كان عمـلا شائنا .. فانه لم يعد علينا بضرر أو خسارة ، وأن تاريخه معنا يشرفـه ، وحسبه أنه يعانى عذابا نفسيا قد يفوق ما نوقعه عليه من جزاء . ولذلك قررنا أن نترك له الخيار فى العودة الينا .. أو البقاء مـع المنظمة الأخرى .

وحين علم بقرارنا انحدرت الدموع من عينيه وهو يعلن توبته .. وعزمه على مشاركتنا شرف الجهاد .. حتى النهاية ..!

ثم دعونا مندوبى المنظمة الثانية لنستمع اليهم .. وبدأ أحدهم الحديث بأن أطرى جهاد منظمتنا السرية لمقاومة اليابانيين ،وأشاد بحسن نظامها وشجاعة رجالها .. ثم قال انه قـدم هو وزملاؤه

كممثلين لمنظمة الدراجون الأسود ليعرضوا علينا اتحاد المنظمتين في منظمة واحدة •• كخطوة رئيسية لانضمام باقي المنظمات اليناء

وكان يركز حديثه بصفة خاصة ، على أن الجهود المتعاونة المنسقة تؤتى أطيب الثمار •• وأكثر من هذا كله •• أن وحدتنا ـ وبمعنى أصح ـ وحدة شعبنا وجهوده ستكون السند القوى لأمتنا بعد عودة •• القوات البريطانية ا••

وهنا وقف ونج تى يقول :

ـ ماذا سيحدث لجمهورية الملايو عند عودة القوات البريطانية؟!

ـ يتوقف هذا تماما على ما سيفعله الانكليز معنا •• وكيف ستكون معاملتهم لنا •• وكيف سيعوضون شهداءنا •• ويكافئون أبطالنا الذين جاهدوا من أجلهم •

فصحت أقول ، مقاطعا حديثه هذا :

ـ كيف تجرؤ على اعلان مثل هذا الرأى ؟• كيف يقيس المرء جهاده وكفاحه من أجل وطنه وشعبه •• بالاسترلينى •• أو بالدولار ؟! كيف تتصور أن شعب الملايو جاهد كل هذه السنوات •• ليقدم ـ فى النهاية •• وبعد أن يتحقق له النصر ـ بلاده •• وأهله •• هدية لبريطانية •• أو لغيرها •• لتنعم بها !!••

فقال المتحدث :

ـ لم أقل اننا سنقدم بلادنا هدية الى بريطانيا •• اننا نرى أنه يتحتم عليها حين تعود •• أن تشركنا فى حكم بلادنا •• وهى خطوة ان تمت •• فستحقق لنا الكثير •• دون شك ••!

ودار نقاش طويل بيننا •• وبين مندوبى هـذه المنظمة •• وكان واضحا أننا لن نلتقى •• فكلانا على طرفى نقيض • صحيح أنهم كافحوا وبذلوا الكثير •• ولكنهم فعلوا بايعاز من غيرهم !•• بعد أن أمدهم بكل ما احتاجوا اليه • وكان واضحا أيضا ••أنهم

قد أتوا الآن .. ليحملونا على أن نشترك معهم فى الخاتمة .. التى أرادوها - وأرادها سادتهم - للكفاح الطويل الذى بذله شعب الملايو الباسل .

ولم يسع ونج تى الا أن ينهى هذا النقاش بقوله :

- ان أهدافنا واضحة أيها السادة .. لا لبس فيها ولا التواء .. ولا غموض . لقد أقسمنا فى بداية جهادنا أن تكون مقاومتنا للقوات اليابانية ، حربا مقدسة ، لا تخمد شعلتها ولا تنطفىء جذوتها .. حتى تستقل الملايو .. وتقوم الجمهورية !.

ومن أجل هذا وحده كان كفاحنا حتى اليوم ، كفاحا لم يتلق العون من أحد ، ولم يخضع لتوجيه من أى سلطة أخرى .. سوى سلطة ضميرنا .. وشعورنا بحق بلادنا علينا ..!!

لن نسمح لأى قوة أجنبية بالحياة فوق أرضنا ، ولن نقبل أن نطرد غاصبا .. لنستقبل غاصبا آخر .. ولست هنا فى مجال مناقشة ما فعله الانجليز لبلادنا ، وما لم يفعلوه .. ولكننى أقرر حق شعبنا فى الحياة الحرة الكريمة فى وطن ينعم بالاستقلال والسيادة والحرية الكاملة ..!!

لقد قاتلنا طويلا.. وسنقاتل ثانية لو تطلب الأمر ونحن نسيطر الآن على كل ما فى الملايو من جبال وغابات . وفى قتالنا ضد اليابانيين .. اكتسبنا خبرة كنا نفتقر اليها فى بادىء الأمر وسنستفيد من خبرتنا هذه اذا تطلب الأمر أن نقاتل مرة ثانية .. وويل للمعتدين ..!!

ان شعب الملايو لا يعرف الخيانة .. ولا يبقى على حياة الخونة .. ونصيحتى لمن غرر بهم .. أن يثوبوا الى رشدهم .. وأن يعرفوا طريقهم .. قبل أن تضيع الفرصة .. ولات ساعة مندم !!

خاتمة

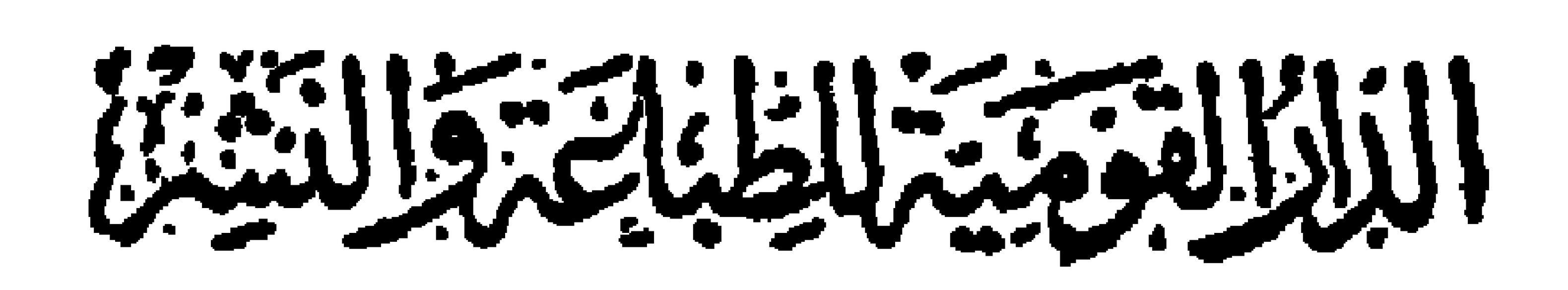
في الخامس والعشرين من شهر مايو .. سمعنا أول أنباء النصر المرتقب .. حين أعلن المذيع ان أكثر من خمسمائة طائرة قد قامت بضرب طوكيو وكبرى المدن اليابانية ..!!

وتوالت الأنباء .. تصلنا مؤيدة ومؤكدة أن النهاية قد قربت .. وأن الحرب وشيكة الانتهاء ...

وفي اليوم الأخير من سبتمبر .. كتبت في مذكرتي ما يلي :

ـ كل احساسي وشعوري .. يتركز الآن في لقاء « لي لان »

.. وما زال لدي الكثير .. أعيش من أجل تحقيقه .. ولكن أين هي لي لان ؟.. وأين هو ولدي ؟.. وما قيمة الحرية .. وما معنى الحياة .. اذا لم أستطع العثور على زوجتي .. وطفلي !!.



الثقافة والإرشاد القومى

الدار القومية للطباعة والنشر

مركز الإشعاع الثقافى فى العالم العربى من القاهرة

مكتبات الدار
نيويورك
لندن
الجزائر
بيروت
طرابلس
بغداد
الخرطوم
الإسكندرية
القاهرة

يصدر عنها

الكتاب الماسى | روايات عالمية
كتب سـ... | من الشرق والغرب | مذاهب وشخصيات
فى المسرح العا... | كتب قومية
اخترنا للطال... | اخترنا للجندى
رسائل جامعـ... | دراسات اشتراكية











Le Scribe LA REVUE ARABE
El Escriba LA REVISTA ARABE
Der Schreiber DIE ARABISCHE RUNDSCHAU